حقيقة الخلق وأكذوبة التطور

د. حسني حمدان الدسوقى حمامة

www.eajaz.org

مقدمة

الظن لا يغنى من الحق شيئا. والظن هو التطور العضوي، والحق هو الخلق، والخلق والتطور ضدان لا يجتمعان، وحقيقة الخلق تنفى فرضية التطور. والانتقاء الطبيعي ليس بذانه قوة خلاقة ولا يدفع شيئا جديدا للتطور. ولم تفد الأحافير نظرية التطور العضوي, حيث لم يسجل أرشيف الحياة القديمة أية حلقات وسطى من حلقات التطور المزعوم, وعجز العلماء عن الوصول إلى سلف مشترك لجميع الكائنات. ولم تنجح جميع نماذج التطور في شرح الآلية التي تظهر بها الكائنات الجديدة . وتعددت النظريات حول نشأة الحياة ، وما يزال سر الحياة غامضا. ولم يؤد تقصى أصول شجرة الحياة إلى وجود الكائن الفطري الوحيد الذي انبثقت منه الكائنات . وللأسف بعد أن فشلت الدارونية القديمة فشلا ذريعا، أطلت الدارونية الجديدة برأسها فى رداء عصرى خادع تحت شعار براق أسموه التسلسل الجينى. والوهم كل الوهم يكمن فى محاولات فهم نشأة الحياة وتنوعها وتعاقبها بعيداً عن الله. والحقيقة, أن الله خلق من كل شئ زوجين ، وخلق الأشياء بقدر ، وخلق الله من الماء كل شئ حى، وجعل الله التنوع سمة أساسية فى الخلائق التى يعلم الله مستقرها ومستودعها. وخلق الله متجدد ومستمر، وسجل جميع الخلائق لا يحيط به البشر. وهو سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي. وضرب الله لكل أمة أجلا، وتفنى جميع الموجودات ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

www.eajaz.org

نظرة عامة

حقيقة الخلق تنفى فرضية التطور العضوي: هذا القول يعرفه دعاة التطور الداروني. فهم يعلمون أن نظرية التطور لا سند لها من العلم الحق، وإيمانهم بها لا يرجع إلى صحة النظرية ، بل لأنهم يصدون أنفسهم وغيرهم عن الإيمان بحقيقة الخلق. وللأسف ، فهؤلاء جحدوا حقيقة الخلق بعد أن إستيقنتها أنفسهم، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (النمل :١٤). وحتى لا يظن أحد أنني متحامل على نظرية التطور العضوي ، أحيله إلى أقوال العلماء . فهذا النشوئى الكبير السير آرثر كيث يقول: (إن نظرية التطور لا زالت بدون براهين حتى الآن ، وستظل كذلك، والسبب الوحيد فى أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا أمر غير وارد على الإطلاق). وتلك مقولة تعكس الكفر مع سبق الإصرار والجحود. وأسوق أيضا شهادة شاهد آخر من أهلها، إنها شهادة النشوئى الكبير أيضا الكونت دى نوى **(Conte de Nay)** حيث يقول : (كل مجموعة ، كل فصيلة تبدو كأنها جاءت إلى الوجود فجأة, إننا لم نعثر على أي شكل انتقالى ، ومن المستحيل أن ننسب أى مجموعة حديثة إلى أخرى قديمة. ويضيف إننى ألمح كل العلامات المُثبِتة على حدوث الخلق المطلق). فإذا كان الكونت دى نوى يذكر أن الخلائق جاءت إلى الوجود فجأة فليطمئن إلى قول الله تعالي: ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات: ٤٩), وقوله أيضا: ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩).

وقد أصاب الكونت دى نوى كبد الحقيقة حينما لم يقر بنسب المحدثين إلى قدماء ليسوا من أنواعهم، وذلك لسبب جليّ وهو أن كل الأنواع جاءت أزواجا، ولم يتسلسل بعضها من بعض. تلك الحقيقة الجلية ذكرها الله فى ثلاث آيات من القرآن الكريم ، وهى : قوله تعالى: ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ (يس: ٣٦) وقوله ﴿والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ (الزخرف : ١٢) وقوله ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات : ٤٩) .

وإذا لاحظ الكونت دى نوى علامات ، أكدت له " حدوث الخلق المطلق ، فإن القرآن الكريم قد صدع بتلك الحقيقة فى الكثير من الآيات القرآنية ، منها قوله تعالى:

*﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ (السجدة :٧)

*﴿ إن ربك هو الخلاق العليم ﴾ (الحجر : ٨٦).

*﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ (الزمر : ٦٢)

*﴿ هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ... ﴾ (الحشر: ٢٤).

*﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ (طه: ٥٠).

*﴿ ... ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف: ٥٤).

ويشترك مع الرأى السابق العالم :استن كلارك من معهد ثمبثون ، فنجده يصرح أن: (العلماء الذين يؤكدون على أن التطور واقع علمي هم منافقون, وأن ما يرونه من أحداث إنما هو من الشعوذات التى ابتدعت ولا تحوى على نقطة واحدة من الحقيقة), ويضيف مؤكدا ، قول الكونت دى نوى السابق:(لا توجد علاقة سابقة تحمل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره. إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة . لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفى نفس الشكل الذي نراه عليه الآن). وإذا كان قول استن كلارك قد انتهى ، فإنني أذكره ليطمئن قلبه ببعض آيات الله ، ولعلها تهدى من وصفهم بالمنافقين والمشعوذين, حيث يقول رب العالمين في القرآن الكريم في آيات تتحدى منكري الخلق الخاص:

*﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ ، وهو الواحد القهار ﴾ (الرعد: ١٦) .

*﴿ ... أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السماوات .. ﴾ (فاطر: ٤٠).

*﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ (النحل : ١٧).

وحول قول استن كلارك عن المراحل المتميزة التى هى نتاج خلق خاص ، نذكره بقوله تعالى:

*﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (القصص: ٦٨).

*﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ (النحل : ٢٠).

*﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ﴾ (الطور: ٣٥).

وعن ظهور الإنسان المفاجئ على الأرض وفى نفس الشكل الذى يراه، أنصح تلاميذ استن كـــلارك أن يقرأوا قصة خلق آدم وهبوطه على الأرض واستخلافه فيها ، كما وردت فى سور القرآن الكريم.

وإن كان لى من كلمة : فإنى أرى أن: التطور ظنٌ لا يغنى من الحق شيئاً ، والتطـــور بمعنـــاه المعروف لا هدف له سوى استبعاد كلمة الخلق (Creation) ليحل محلها كلمة من تلبيس إبليس ، هى كلمة التطور (Evolution) دونما سند واحد من عالم الأحياء أو عالم الأحافير . وللأسف فـــإن دعاة التطور العضوى جحدوا كلمة الخلق بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً .

هل استطاع السيد شارلز دارون أن يفسر لنا لماذا هلكت عمالقة الخلق من الديناصورات فى حين استمرت الثدييات الصغيرة فى البُقيا متجاوزة لحظة الفناء فى نهاية العصر الطباشيرى. وربما يـــنجح لحد ما مبدأ البقاء للأصلح فى تفسير وجود الأقوى ، ولكنه عاجز عن أن يفسر بقاء الأضعف. كيـــف دَبّرت وحيدات الخلية حالها عبر ملايين السنين حتى يومنا هذا ؟ وكيف تواجدت الشاة الجلحاء بجانب أختها النطحاء؟ لماذا لم تصطفى الطبيعة على حد زعم دارون ذات القرون فقط فى صراع الشاه مـــن أجل الحياة؟ وكيف وجدت أسماك الأجناثا عديمة الفكوك جنبا إلى جنب مع الأسماك ذات الفكين لمـــدة تقرب من ٦٠ مليون سنة ، مع أن ظهوره الفكوك فى الأسماك يمثل فى عرف دارون ظاهرة تطوريـــة ؟, فإذا كانت الأسماك عديمة الفكوك دبرت حالها بدون فكوك فما هو معنى التطـــور إذن؟. وإذا كانـــت الزرافة بعنقها الطويل هى حصيلة "الاصطفاء الطبيعي", وأنها أفضل مثال على تنازع البقاء، فما بـــال الخروف الذي لا يزيد طول عنقه عن سنتيمترات قانعا بقصر رقبته. أى طبيعة عاقلة تصطفى ما تشـــاء وتعرض عما تشاء. حقا إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب عن رؤية الحقيقة. فيأيها الدارونى الغير مأسوف عليك اعلم أن الذي يصطفى هو الله الذي يقول:

*﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار... ﴾ (القصص : ٦٨).

*﴿ إن الذين تدعون من دون الله لا يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له.. ﴾ (الحج:٧٣).

*﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴾ (النحل : ٢٠).

*﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ﴾ (الفرقان : ٣).

*﴿ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى يؤفكون... ﴾ (يونس: ٣٤).

ثم لماذا يغض أنصار دارون الطرف عن إحدى مقولاته ، ألأنهم ملكيون أكثر من الملك. إن دارون من حيث لا يدرى يدحض ما عرف بالصطفاء الطبيعى بنفسه حيث يقول :(إلا أننى أؤمن بالانتقاء الطبيعى ، ليس لأننى أستطيع فى أى حالة واحدة أن أثبت أنه غيّر نوعاً من الأنواع إلى نوع آخر، وإنما لأنه يفسر ويصنف جيداً كما يبدوا لى عدداً هائلاً من الحقائق فى التصنيف وعلم الأجنّه وعلم التشكل والأعضاء الأولية والتتابع الجيولوجى). للأسف جعل التطوريون من التطور نداً للإله فى اصطفائه الأشياء. وإننى أسأل مندهشا لماذا يُغيب العقل ، وتُجهد النفس فى الاعتقاد بطبيعة ميتة تقوم بدور الإله القادر، بينما كل خلية من خلايا الإنسان تنطق بوجود الخالق. وصدق الله حيث يقول: ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار﴾ (الرعد: ٦).

أعتقد أن الكثير من أساسيات نظرية التطور قد تهاوت ، ولم يعد من المقبول احتراما للعقل مناقشتها من مثل اتخاذ تشابه الأعضاء دليلا على الارتقاء من سلف مشترك. بل إن فكرة السلف المشترك ثبت فشلها حتى فى ضوء دراسة جزيئات الحياة. ولم يعد قانون هيكل المعروف بمبدأ الاستعارة **(Recapitulation)** أيضا مقبولا, إلا إذا أعيدت صياغته بحيث ينص على أن (تاريخ حياة الفرد يعيد تاريخ حياة نوعه استنادا على أطوار حياته المختلفة) .

وقد لا يحق لدارون أن يهدأ مستقرا في قبره استنادا على ما يُعرف بالاختيار بالدفع **(stress)** أو بتأثير البيئة. وقد هوى السند الذي اتخذوه دليلا على دقة النظرية، حيث ثبت أن التأثيرات البيئية لم تستطع أن تغير الشفرة الوراثية للكائن. إن ظهور أمّة من البيتيولاريا ***(Biston betularia)*** ذات اللون الأسود، بعد إختفاء البيتيولاريا الرمادية اللون، لتعطى النوع قدرة على التخصص في ظروف الثورة الصناعية ، وما نتج عنها من سناج **(Smog)** فى الجو ، هذا الظهور لم يمثل تغيرا في نوع البيتيولاريا . إن اتخاذ تغير اللون فى النوع السابق دليلا على التطور سذاجة ، لا يعدلها إلا تصور تغير نوع الإنسان من أمة الزنوج الأفارقة مثلا إلى نوع آخر ، إذا هاجر الزنوج من موطنهم الأصلي ونزحوا إلى سيبيريا مثلا لعدة آلاف من السنين. وليس تغير لون بشرته إلا نتيجة عمل بعض الجينات من بين المائة ألف جين المستودعة في نواة الخلية الجسدية.

دارون هذا ، جعلوه صنما من أصنام الفكر المراد ترويجه ، وكان مستعدا لأن ينفذ ما يطلب منه. والعجيب أنه أشار إلى الخالق في الطبعة الأولى لكتاب أصل الأنواع الذي صدر سنة ١٨٥٨م حيث ذكر أن الحياة انبعثت من الخالق أول مرة, ثم إذا به ينكر الخالق في الطبعات التالية من الكتاب.

تأثير دارون في الفكر الحديث: حرث في بحر

يرى أرنست ماير (Ernest Mayer) أستاذ فخرى لكرسى الكساندر أجاسيز فى جامعة هارفارد : أن التطور حقيقة لا يشك فى صحتها أى مثقف، ويعتبر النظرية تلك حقيقة محضة، ويزعم السيد أرنست أن معظم أطروحات دارون الخاصة قد أصبحت مؤكدة ، كتلك التى تتعلق بالتحدُر المشترك ، وتدرج التطور ، وبنظريته التوضيحية للانتقاء الطبيعى . وسوف أوضح بعون من الله كذب إدعاء أرنست ماير فى ضوء دراسة شجرة الحياة المتخيلة حديثا والتى تنفى بصورة قاطعة سخافة السلف المشترك(Common Ancestor), وأيضا فى ضوء أرشيف الحياة القديمة- الأحافير- التى تنفى وجود حلقات وسطى ، الأمر الذى يذهب بفرضية التطور أدراج الرياح، بالإضافة إلى عبثية ما يسمى بالانتقاء الطبيعى. وفى وضوح لا لبث فيه يظهر الهدف الأول والأخير من وراء نظرية التطور ألا وهو انكار حقيقة الخلق، نجد ذلك فى قول ماير : (ربما كان أعظم اسهامات دارون إيجاده مجموعة من خلال التطور من دون اللجوء إلى ما فوق الطبيعة Supernaturalism) . كما أن أرنست ماير وهو من علماء تاريخ البيولوجيا التطورية, يرى أن التطور غير قائم على قوانين بل ينبى على مفاهيم. حقا إنه الهوى والظن, ولكن الظن لا يغنى من الحق شيئاً. وفى دارون وماير وأتباعهما يصدق قول الحق تعالى: ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ (الحج ٣-٤), وقوله أيضا: ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ (الحج: ٨-٩), وقوله سبحانه: ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ (الفرقان : ٤٣), وقوله: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (القصص: ٥٠). وأصدق ما يقال فى دعاة الإلحاد من العلمانيين والداروئيين هو قول رب العالمين: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون * وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ (الجاثية : ٢٣-٢٤).

ولم يكن دارون سوى عالما لبس ثوباً من أثواب كهان معبد أصنام قوم إبراهيم ، وكان مستعدا أن يسخر علم الحياة ليخلع على الإلحاد ثوب العقلانية. ولا توجد فى تاريخ البشرية نظرية بلا سند تم الترويج لها مثل نظرية دارون.

وكلمات الجيولوجى داوسون (J.W. Dawson) أعجب من قول أرنست مايرالسابقة حيث يقول: (التطورية لا تترك أى مجال للخوارق، فالأرض وسكانها لم يخلقوا كما هم بل تكونوا بالتطور). ومصدر عجبى أنه قال كلماته القاطعة تلك فى الذكرى المئوية للدارونية دون أن يدرك حالة الشك التى أحاطت بصاحب الذكرى غير المأسوف عليه وعلى نظريته حيث يقول دارون ذاته (إذا كانت الأنواع تنحدر من أنواع أخرى بتدرج بطئ وغير محسوس، فلماذا لا نجد كثيرا من المخلوقات الانتقالية بين النوعين؟ لماذا لا يوجد شئ فى الطبيعة فى حالة مشوشة؟ لماذا لكلٍ من ألأنواع شكل ووصف محدد؟ لماذا لا نجد باستمرار على قشرة الآرض بقايا هذه الأشكال الانتقالية العديدة التى لا تنفى فرضية التطور وجودها؟). والجواب على تساؤلات دارون غاية فى البساطة لسببين : أولا لخطأ فرضية تحدر الأنواع الجديدة من أنواع أخرى ، وبالتالى لا توجد حلقات وسطى إلا فى عقل الداروئيين؛ سواء القدامى منهم أم الجدد. وثانيا لأن الله خلق الأنواع كلها خلقا خاصا ، وأحسن خلقها، وهداها لما خلقت له. وهنا تتلألأ كلمات الحق فى قوله تعالى:

﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ (السجدة : ٧), وقوله: ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (القمر : ٤٩), وقوله سبحانه: ﴿ الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى﴾ (الأعلى : ٢-٣).

وجميع الصروح التى نسبها أرنست ماير لدارون ليست إلا وهن مثل وهن بيت العنكبوت.وما حسبه ماير عن وجوه اسهامات دارون فى الفكر الحديث ليس الا فكر موغل فى الجهالة والضلالة معا. وتلك هى النواحى الست التى ذكها ماير:

١- رفض جميع الظواهر والمسببات فوق الطبيعة.

٢- ترفض الدارونية فكرة الثيولوجيا (التنميط).

٣- رفض فكرة الكمال المطلق وبالتالى رفض وجود الإله.

٤- أعلى دارون من شأن المصادفة والاحتمال ، ونفى مذهب الجبرية.

٥- نادى داورن بوجود سلف مشترك (Common descent) .

٦- هيأ دارون كما يزعم أرنست ماير أساسا علميا للأخلاق ! (مع العلم بأن فرضية البقاء للأصلح تقوم على الأنانية).

وفيما يلى نقض لنظرية دارون ، مبتدئا بما يسمى بشجرة الحياة والسلف المشترك بعد الاشارة الى أصل الحياة.

معرفة أصل الحياة : أمل بعيد المنال

أقولها صريحة : إن محاولة الوصول إلى أصل الحياة بعيدا عن الله طريق مسدود ، يتوه الإنسان فى دروبه الملتوية ، دون أن يصل إلا إلى سراب. وأحذر من الدروانية الجديدة التى أَطَلَتْ رأسها فى ثوب براق خادع مادته علم حياة الجزيئات (Molecular Biology) . فقد أعلن الماديون شعار التسلسل الجينى، كما أعلن إمامهم السيد دارون من قبل فكرة التسلسل الشكلي والتطور بالتدرج والبقاء للأصلح . وها هم ألقوا الفرض الذي يحتاج إلى تمحيص دقيق ومؤداه: (بوسع الباحثين إعادة بناء الماضي التطوري لأنواع الحياة ، من خلال تقييم تباعد تسلسل الجينات أو البروتينات التي تم عزلها من تلك الكائنات). عودة ثانية إلى الفكرة السخيفة عن العلاقة بين القرد والإنسان. فمن قبل اتخذوا من التشابه بين جمجمة القرد والإنسان دليلا على تطور مزعوم ، وللأسف اليوم يتخذون من التقارب بين جينات الإنسان وجينات الرئيسات العليا دليلا على تحدر الإنسان من سلالة الرئيسات. وهكذا يجرون الآيسين من رحمة الله وراءهم من الآن ، ولمدة قد تماثل المدة التي خدع بها دارون أتباعه – قرابة ١٥٠ سنة – ثم بعد ذلك يعلنون فشل الدارونية الحديثة ، ثم يعودون لما نهوا عنه.

من الآن أقول حذارا من عبث فكرة التسلسل الجيني وإعادة الماضي التطوري استنادا على أفكار تفسير علم جزيئات الأحياء وفق هواهم. ولن أحذو حذوهم فأبدأ بطرح سؤالهم: ما أصل الحياة ، ولكن سيكون طرحى ابتداءا بالسؤال التالى كيف بدأ الخلق؟ استلهاما من قول الحق تعالى: ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير﴾ (العنكبوت: ٢٠) وقد فهم المفسرون﴿ كيف بدأ الخلق﴾ : بالنظر إلى خلق الناس على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم (القرطبى). وتوسع آخرون في فهم ذلك بأنه دعوة الله للناس بالسير فى الأرض وتتبع صنع الله وآياته في الخلق والإنشاء، في الجامد والحي سواءً، ليدركوا أن الذى أنشأ يعيد بدون عناء، وأن السير فى الأرض يفتح العين والقلب على المشاهدة الجديدة التى لم تألفها العين ولم يجلها القلب وما يشغل علماء اليوم فى هذا الشأن قد لاحظه أحد كبار مفسري القرآن

الكريم وهو الشيخ سيد قطب (رحمه الله) حيث يقول : (إن التعبير بلفظ الماضي ﴿ كيف بدأ الخلق﴾ بعد الأمر بالسير فى الأرض لينظروا كيف بدء الخلق يثير فى النفس خاطرا معينا... تُرى هنالك فى الأرض ما يدل على نشأة الحياة الأولى، وكيفية بدأت الخليقة فيها كالحفريات التى يتتبعها بعض العلماء ليعرفوا منها خط الحياة كيف نشأت ؟ وكيف ارتقت؟ وإن كانوا لم يصلوا فى معرفة سر الحياة ما هى ؟ ومن أين جاءت ؟ وكيف وجد فيها أول كائن حى؟

وأعتقد أن فهم سيد قطب لـ ﴿ كيف بدأ الخلق﴾ يفوق فهم العلماء الباحثين عن أصل الحياة، فالأول رأى فى ضوء النص القرآنى أن الدليل موجود فى الأرض، والآخرون جربوا فى المعامل ليبحثوا عن أصل الحياة فلم يصلوا إلى صنع الحياة على الوجه الذي سنعرفه لاحقا. وتوسع ابن كثير (رحمه الله) فى فهم ﴿ كيف بدأ الخلق﴾ ليشمل خلق الله للأشياء فقال: السموات وما فيها من الكواكب النيّره والأراضين وما فيها من مهاد وجبال وأودية وبراري وقفار ، وأشجار وثمار ، وبحار، كل ذلك دال على حدوثها فى أنفسهم ، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذى يقول للشئ (كن فيكون) .ورب العالمين قد أعطى مفتاح خلق الكون والحياة ، فذكر فى كتابه العزيز أن بداية الكون رَتْقٌ قد فُتِق، وأن أساس الحياة ماء ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ أولم يرالذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء : ٣٠).

وأود التأكيد ثانية على أن بدء الخلق ومسيرة الحياة والنشأة الآخرة ، يستحيل فهمهما بعيدا عن الله . وأؤكد على ذلك براءة من الشرك، وتحذيرا من السير وراء من ينسبون النشأة الأولى وما تلاها من تتابعات إلى طبيعة ميتة تصطفى ما تشاء، أو تطور زائف يسلسل الكائنات بعضها من بعض دونما سند علمى واحد اتباعا للأهواء. فالله تعالى خلق ويخلق وهو الخلاق العليم، وكل يوم هو فى شأن يدبر أمور خلقه ويحيى ويميت. وأجد نفسى كمسلم، فى ضوء عقيدة الإسلام الحق، وأنطلاقا من صحيح العلم، غير المتلبس بظن لا يغنى من الحق شيئا، أبرأ من نظرية التطور العضوى سواء قديمها أو حديثها. والقديم منها أخذ منه البِلَى ما أخذ وسئمته العقول، وجديدها أَشُم منه رائحة الهوى وعدم الأمانة . وأقرر أن الذين ينسبون وجود الأشياء إلى طبيعة ميتة أغبياء، والذين يجعلون من التطور آلية لظهور الكائنات كذابون منافقون, والحقيقة أن الله وحده هو الخالق ، وصدق تعالى حيث يقول:﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل﴾ (الزمر : ٦٢), وقوله: ﴿ الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شرك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾ (الفرقان : ٣), وقوله: ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

العلم وأصل الحياة

لم يكن نجاح ستانلى ميللر الأمريكى فى مطلع الخمسينات من القرن الماضى ، وكذا نظيره الروسى أوبارن ، فى تصنيع الأحماض الأمينية من خليط من الميثان والأمونيا وثانى أكسيد الكربون وبخار الماء وغيرها مكن المواد غير العضوية باستخدام أجهزة بسيطة عن طريق التفريغ الكهربي وتحت الضغط الجوى (شكل ١) إلا خطوة للحصول على اللبنات الأولى المكونة للكائن الحي. وكان وما يزال الإنتقال بالجزيئات العضوية إلى حياة تنبض خارج مقدور جميع علماء الأرض ، وفى ذلك إثبات للعجز البشرى عن صنع حياة .. أى حياة ، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحج: ٧٣).

ويقينا فإن يد القدرة الإلهية كانت وما تزال هى الوحيده وراء إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي . إن إشعاعة الحياة **(life Radiation)** سر من أسرار الله الخالق البارئ المصور. ولا حرج على العلم في النظر في كيفية إنبثاق الحياة بشرط أن يؤمن بالخالق والخلق أولا ، ثم يبحث بجد بعد ذلك ليحقق قوله تعالى : ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ... ﴾ (العنكبوت: ٢٠). ويتفق أغلب العلماء على أن الحياة نشأت عن طريق " سلسلة من التفاعلات الكيميائية" تمت تحت ظروف بيئية مغايرة تماما للظروف السائدة على الأرض اليوم، وأدت إلى إنتاج تجمعات من الجزيئات العضوية. وانطلقت نماذج تلك النشأة من نظرية التطور ، مترسمة هداها في أن نمو المادة الميتة أو الجزيئات غير العضوية التي سبقت الخلايا الحية قد تأثر بالآليات التي تحكم الكائنات اليوم من التنافس، ونسخ الجزيئات ، والانتقاء الطبيعي. بمعنى آخر, وقع أغلب هؤلاء العلماء في تفسيرهم لنشأة الحياة في أسر نظرية دارون ، فإذا بطلت النظرية بطلت معها التأويلات المنبثقة عنها، وقد سقطت النظرية فعلا.

من هكسلى إلى ميللر والحياة سر

ناقش هكسلي (T.H.Huxly)_عالم الحياة البريطانى عام ١٨٧٠م الفكرة المحيرة والمثيرة للجدول التى تفترض أن الأنظمة الحية تطورت عن جزيئات غير حية فى محيطات بدائية تشبه الحساء العضوى (Organic soap) . وفى أثناء مساجلات هكسلى كان معظم العلماء يعتقدون من خلال تجاربهم أن الحياة يمكن أن تأتى فقط من حياة سابقة أو ما يعرف بالتولد الذاتى (Spontaneous generation) وقد تأكد فيما بعد عدم صحة هذا الفرض. وقد تمسك هكسلى بمعتقده فى أن الحياة قد نشأت من كيماويات غير حية (non living chemicals) . إلا أنه أخفق فى شرح الطريقة التى تمت بها ، ولكن غلبه الإحساس بأن ذلك وقع على الأرض الإبتدائية، وكان " يتوقع أن حكمة التطور كانت وراء نشأة الجبلة الحية من المادة غير الحية.

وبين عامى ١٩٢٠ و ١٩٣٠ قام كل من الروسى أوبارن (A.I.Oprin) والانجليزى هالدان (J.B.S. Haldane) بنشر مجموعة من الأفكار تدعم فرضية مجئ الحياة على الأرض نتيجة تفاعلات كيميائية فى بيئات تفتقد الأكسجين . وتوقع أوبارن حدوث خطوة انتقالية بين الكيماويات غير الحية والخلايا الحية تشبه ما يعرف اليوم بالقطيرات المتجمعة (Coacervate droplets) . وتلك القطيرات المجهرية الحجم تتكون من جزيئات عضوية كبيرة ولكنها غير حية تبقى معلقة فى الماء. وتتصرف تلك القطيرات تحت ظروف معينة مثل الخلايا الحية. وتلك القطيرات من الممكن أن تحاكى (Simulate) التفاعلات التى حدثت فى ما قبل الجزيئات الحياتى (prebiologic molecules) وبالتالى تقدم مفاتيح لفهم نمو الخلايا الأولى. وفى عام ١٩٥٤ قام هالدان بنشر ورقة علمية تتكهن بأربع تفسيرات محتملة لكيفية ظهور الحياة ، وأيد أكثرها قبولا وهو التفسير المعبر عن أن الحياة قد صعدت من تطور كيماوى فى بيئة قديمة فقيرة فى الأكسجين

على أن التقدم الحقيقى فى محاولات الكشف عن بداية الحياة بدأت مع التجربة التى أجراها ستانلى ميللر (Stanly L. Miller) فى الخمسينات من القرن المنصرم فى معمل هارولد (Haroldk C. Urey) فى جامعة شيكاغو. وقد قام ميللر بتحضير جزيئات عضوية متنوعة تشبه الكثير من الأنواع الموجودة فى الكائنات الحية. ومنذ تلك التجربة ، أخذت الدراسات تتكهن بأن الغلاف الجوى للأرض فى مهدها ربما لم يكن محتويا فقط على الأمونيا ولكن أيضا يحتوى على خليط من النيتروجين ، وناتئ أكسيد الكربون وبخار الماء.

كما اتفق العاملون فى هذا المجال لاحقا على أن الأكسجين الحر (free oxygen) لم يكن موجودا في الغلاف الهوائى الأولى للأرض . وتمكنت التجارب المعملية فى ضوء المعلومات الجديدة عن ظروف الأرض في مهدها من انتاج مجموعة من الجزيئات العضوية المعقدة من مثل الأحماض الأمينية. وتمثل تلك الأحماض اللبنات الأساسية للخلايا .

وفى خلال الثمانينات من القرن العشرين أُضيفت فرضيات جديدة للأفكار السابقة. وظهرت تكهنات من قبل جيولوجيين من أمثال كابرنيس – سميث (A.S.Caprins-Smith) ونسْبت (E.S.Nsbit) تشير إلى أن ظهور الحياة قد ترتبط بمعادن الطين أو الزيوليت (Zeolites) ، وربما تكونت لأول مرة فى عيون حارة (Hot springs) . وقد وضع نموذج جديد فى عام ١٩٧٧م يفسر أصل الحياة ، خلاصته أن الحياة جاءت من جوف الأرض من خلال القصبات (القنوات) التى تمر منها المحاليل الحرارية عند (أَخْيُد (مطبات) وسط المحيطات فى أماكن إتساع قيعانها. فهناك يأتى الكربون من الصهير الصاعد من جوف الأرض . واستندت تلك الفرضية على وجود بكتريا تعرف بالاركيوبكتريا (Archaeo bacteria) ، تعيش فى العيون البكتيرية وقصبات البراكين ، تتغذى على الكبريت دون الحاجة إلى الأكسجين وضوء الشمس. وهذا الفرض يعنى أن الحياة ظهرت فى قاع البحر من المحاليل الحرارية الصاعدة من جوف الأرض.

نعم للخلق بداية ، والسعى لمعرفة تاريخ وظروف تلك البداية أمر محمود يدعو إليه الله تعالى فى قوله: ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق... ﴾. ولكن الوصول إلى حقيقة بداية الخلق يعتمد على مستوى معارف الناس فى كل زمان ومكان ، وكلما ازدادت معارف الناس نتيجة لتقدم العلم كلما عرفوا أكثر عن بداية الخلق. ولكنى أؤكد على أن محاولة الوصول إلى معرفة الحقيقة بعيدا عن الله فى ظل الكفر بحقيقة الخلق سراب وظن. ولذا يجب أن نوضح مفردات وحقائق الخلق فى القرآن الكريم فى ثنايا هذا البحث إن شاء الله. وهنا أتتبع أصول شجرة الحياة ويلزم أن نذكر تعريف التطور كما أراده دارون وأتباعه لا كما نتخيله نحن. إنه يعنى فى المفهوم الدارونى: (إرتقاء الحياة من جهاز عضوى ذى خلية واحدة إلى أعلى درجات الارتقاء).

وتنطوى نظرية التطور كما جاء فى الموسوعة العالمية (World Book Encyclopedia) على ثلاثة أفكار رئيسية:

١- أن الكائنات الحية تتبدل جيلا بعد جيل وتنتج نسلا يتمتع بصفات جيدة.

٢- أن هذا التطور قديم جدا وبه وجدت كل أنواع الكائنات الحية.

٣- أن جميع الكائنات الحية يتصل بعضها بالبعض بصلة قرابة.

والملاحظ من النظرة السريعة للبنود الثلاثة السابقة أنهم جعلوا من التطور كل شئ ، فهو الذى أوجد جميع الكائنات على تعقد أنظمتها الحياتية ... إنه من وجهة نظر التطوريين الإله المعبود وحاشى لله. مع العلم بأن علماء اليوم يجمعون على أن الإنتقاء الطبيعى ليس بذاته قوة خلاقة ولا يدفع شيئا جديدا للوجود (إيان تاترسال، ٢٠٠١) .ونزيد الأمر وضوحا دفعا للتلبيس بأن مفهوم التطور من وجهة نظر أصحابه يشمل النباتات والحيوانات والإنسان، وهو يعنى التحول من نوع إلى آخر وفى ذلك نفى قاطع للخلق الخاص.

والسيد دارون يحدثنا عن السلف المشترك الذى انبثقت منه جميع الكائنات والذى ثبت عدم وجوده ، وذهبت أكذوبة المخلوق الفطرى الخام التى أشار إليها دارون أدراج الرياح. وفى طبعته الأولى من كتاب "أصل الأنواع" يعترف دارون بأن الحياة قد استمدت نفثتها الأولى من الخالق, ثم أنكر وجود هذا الخالق وسخر منه فى طبعات الكتاب الأخرى كم أشرت من قبل. ومن المؤكد أن إله دارون جاء على هواه ، فوجوده مثل عدمه، ولربما فى زعمه قد مارس الخلق مرة واحدة ، حيث خلق شيئا خاما ، ثم ربما راقبه أو حتى تلهى عنه وهو يتنقل من نوع إلى آخر . إن إله دارون المزعوم إله من وحى هواه (إله تفصيل) وكأن به واضعا ساقا على ساق يلعب النرد ويترك خلقه لصدفة عمياء تقلبه من طور إلى طور. وهكذا أشقى دارون نفسه وأشقى معاصريه وتابعيه حينما جعل من الطبيعة إلها أسماه الإصطفاء الطبيعى وأقامه مقام الخالق. وأعجب من علماء يرددون بغباء كالببغاوات – مع الاعتذار لهن- مقولة (الإنتقاء الطبيعى), وصدق الله حيث يقول: ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وبصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ (الجاثية: ٢٣). وأين ذلك من الإله الحق الذى وصف نفسه قائلا: ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى المسوات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ (البقرة : ٢٥٥).

الله يصطفى من خلقه ما يشاء ، وصنم الإلحاد العلمى الميت الحى أو الحى الميت دارون يرى أن البقاء للأصلح, وليذهب الضعيف كما يرى داورن إلى حتفه, أو حتى إلى الجحيم. ووفقا لرؤيتة ذات النزعة الانتهازية العرقية يرى أنه خلال الصراع على الحياة تفرض التغيرات النافعة نفسها على الجسد ، فيعيش الأصلح للحياة ويموت غير الصالح لها، وينقل الأحياء الأقوياء (أو الصالحون) لأنسالهم التغيرات النافعة لتؤدى بها إلى البقاء. والمبدأ الهلامى هذا لا يفسر كيف تتراكم التغيرات البسيطة المستمرة وتؤدى إلى ظهور أجهزة معقدة.

وقد سبقت الأفكار التطورية دارون، فأرسطو إعتقد من قبل أن جميع الأنواع خلقت مرة واحدة ، ومالیت (Benoit de Malliet) رأى أن الحياة جاءت من الفضاء. وثار الجدل فى أوروبا حول جمع كل الحيوانات فى سفينة نوح (Noh's Ark) ، وتحدث أرازموس دارون (Erasmos Darwin) جدّ دارون عن تأثير البيئة على الشكل الخارجى للحيوانات. وظهرت فكرة لا مارك عن توارث الصفات المكتسبة، وظهر كتاب شامبر (Robert Chamber) الذى افترض فيه أن سجل الأحافير يعكس استمرارية الأساس العضوى وليس نتاجا لخق متكرر، مع إشارته بضرورة صعود الحياة من اللاحياة فى بداية الأمر ، وقد صدر من كتاب شامبر أحد عشر إصدارا ، كان آخرها سنة ١٨٦٠م بعنوان ضمور التاريخ الطبيعى للخلق (Vistiges of natural history of creation) . ولكن فارس ترسانة الإلحاد إمتطى العلم وكان دائم الاستعداد لدعم أية أفكار تناصر ما يذهبون إليه لدعم الحرب بين الفلسفة المادية والمعتقد الدينى.وكما أشرت من قبل, إن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعى قد يفسر عملية " بقاء الأصلح ولكنه لا يستطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح. والسؤال المثير للدهشة حقا هو: لماذا تهدف الطبيعة دائما إلى نتيجة معلومة؟ . وكيف تنظم نشاطها حتى تطير الطيور فى الهواء ، ويعيش السمك فى الماء، ويوجد إنسان فى الدنيا بجميع الإمكانات والكفاءات العجيبة المثيرة.

ولن أعجب إذا ما كان دارون قد سلّم بأن لهذا الكون " خالقا" ولكن عجبى من أن ما قدمه دارون لا يتضمن أدنى ربط بين الخالق والمخلوق، كما أنه لا يحس بالحاجة إلى " نهاية" لهذا الكون. وما أعجب من "خالق دارون" – هذا الذى يأتى بكون عظيم هكذا، ثم ينهيه، دون إبداء الأسباب التى دفعته إلى هذا الخلق، ودون تعريف مخلوقية بصفاته العديدة. إن نظرية النشوء والتطور ترى أن جميع الحيوانات تنحدر من نوع بدائى واحد. ويقول دارون فى الباب التاسع من كتابه: ومن الأمور الحتمية عندى أنه – إذا ما أُجريت العملية المطلوبة خلال زمن طويل، فمن الممكن أن نجعل من حيوان ذى

ظلف عادى حيوان مثل الزرافة. وللعلم كما سنرى بعد ذلك، فإن السجل الأحافير لقرابة ٤٠٠٠ مليون سنة تقريبا يكذب كلام دارون جملةً وتفصيلاً ، فلم يثبت عبر دراسة خواص ٢٥٠.٠٠٠ نوع من الأحافير تحويل نوع إلى نوع آخر. كذب فقال أعطونى وقتا وسترون، وقد أُعطى الوقت الذى يستغرق عمر الحياة على الأرض، ولم يتحقق، ولن يتحقق إلانتقال المزعوم من نوع إلى نوع آخر ، " وكذب الدجال ولن يصدق أبدا"

أصول شجرة الحياة متعددة

كلمات لابد أن أذكرها أولا قبل أن أعرض لتقصى أصول شجرة الحياة وذلك لأنها كما سنرى المرجع الذى يعصم من التيه والضلال. وأبدأ بذكر قول الحق، ولن أمل من التكرار﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾: أولم تروا كيف يبدئ الله الخلق إنكم ترونه فى النبتة النامية، وفى أجنة الكائنات، وفى كل عام ما لم يكن ثم يكون، مما لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوا أو يدعوا أنهم خالقوه. إن سر الحياة وحده لمعجز ، كان وما يزال، معجز فى منشأه وكيف جاء، ودع عنك أن يحاوله أحد أو يدعيه ، ولا تفسير له إلا أنه من صنع الله الذى يبدئ الخلق فى كل لحظة تحت أعين الناس وإداركهم وهم يرون ولا يملكون الإنكار. ابحثوا عن السر الذى هنالك فى الأرض والدال على نشأة الحياة الأولى وكيفية بدء الخليقة منها.

إن التعريف النمطى **(Classical)** للتطور على أنه ارتقاء الحياة من جهاز عضوى ذى خلية واحدة إلى أعلى درجات الإرتقاء يعنى وجود شجرة تضم جميع الأحياء والأموات، أصلها ذلك المخلوق البدائى البسيط، وفروعها أنواع الكائنات التى تفرعت من ذلك الأصل المشترك (شكل-٢). بهذا أوصى صنم الإلحاد العلمى أتباعه قائلا عليكم بَنىّ تشييد شجرة الحياة، فهل نجح الأتباع فى تنفيذ وصية الجدّ حتى ينام مستقرا فى قبره؟ تأتى الإجابة بالفشل عن رسم تلك الشجرة" الخبيثة" فى بحث نُشر بمجلة أمريكا للعلوم فى المجلد ١٦-العدد-١٠- الصادر فى أكتوبر/٢٠٠٠م حول تقصى أصول شجرة الحياة. قبل نحو عشر سنوات ، قام العلماء برسم المخطط الأساسى للكيفية التى نشأت بها الأشكال الحديثة للحياة. ويتضح اليوم أن هذال المخطط أعقد مما توصلوا إليه. وقد فوجيء الجميع بأن الاكتشافات التى تمت فى السنوات الأخيرة ، بدأت تلقى بظلال كثيفة من الشك والريبة على بعض ملامح هذه الشجرة، وعلى العلاقات قرب جذورها على وجه التخصيص. وأضافوا بأنه (لم يكن بإمكان السلف أن يكون كائنا حيا بعينه، أو سلالة حية مفردة، بل كانت خلايا أولية فى مشاعية،

تتشابك تشابكا رخويا فى تجمع شديد التنوع انبثقت كلها وحدة واحدة ، ثم تطـــورت إلى مرحلـــة نشطت بعدهاإلى مجتمعات عديدة، وهكذا تحولت بدورها لتشكل الخطوط الأولية الثلاثـــة للبكتريـــا والبدئيات وحقيقيات النوى) (شكل:٢).

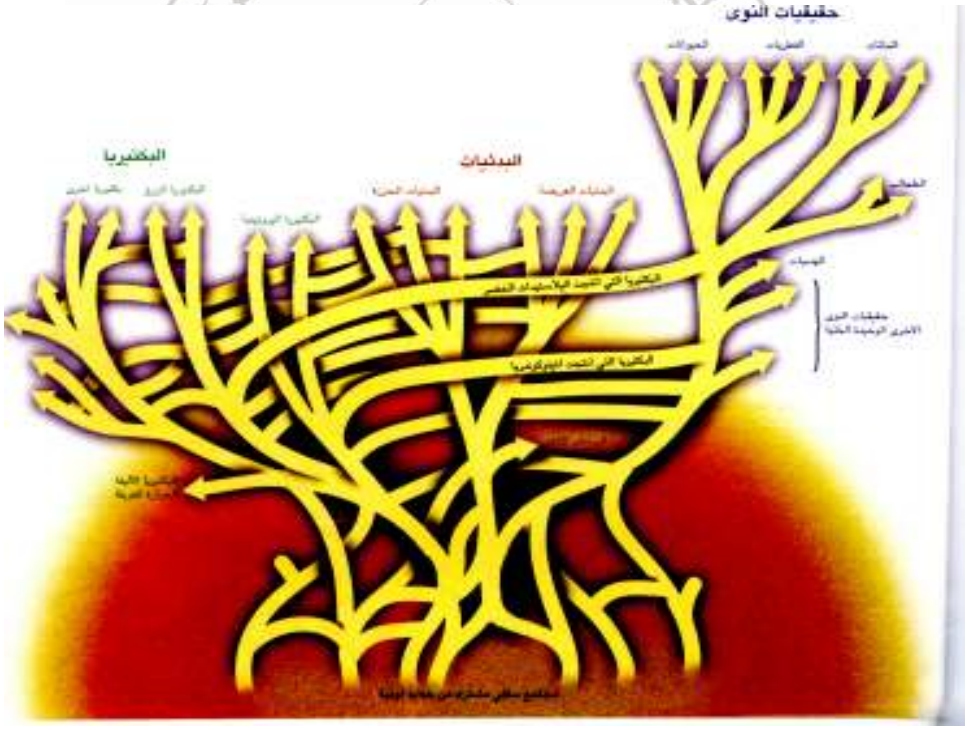

وقد ثبت أيضا أن " طراز التطور ليس خطيا ولا يشبه الشجرة كما تصور دارون، وأن عدا كبيرا من جينات حقيقيات النوى لا يشبه أيا من جينات البدئيات أو البكتريا المعروفة، ويبدو أنها مجهولة الأصل. ومع أن الشجرة الجديدة للحياة قد رسمت على أساس الجينات وحياة الجزيئات (Molecular biology) ، فإنها باعتراف واضعيها هى فى أفضل الأحوال مجرد وصف للتاريخ التطورى لجزء

شكل(٢): شجرة الحياة المرسومة حديثاَ كاريكاتورية, تفتقد الى وجود سلف مشترك عام وتبدأ من مجموعة خلايا مشاعة متباينة فى جيناتها. كما تظهر مجموعة من الوصلات غير الشجيرة, فهل هى شجرة حقيقية أم شجرة خبيثة ؟!

فقط من جينوم الكائن الحى، وأن الشجرة التى نالت الإجماع ليست سوى تصور مفرط فى البساطة.وهذا يفسر من وجهة نظرى بأى المفهوم الحقيقى للتطور هو تتبع تأريخ حياة الفرد, فالله سبحانه وتعالى خلقنا أطوارا بدأ من التراب ثم النطفة فالعلقة الى آخر المراحل التى ذكرت فى القرآن الكريم. وبما أن الدواب والطيور أمم امثالنا كما أخبرنا الله فى كتابه العزيز, فهم أيضا خلقوا أطوارا.

ويعترف بعض علماء الأحياء أن الأفكار الجديدة التى تعرف " بأنساب السلالات الجزيئى (Molecular phylogeny) مُربكة ومُثبطَة بدرجة تجعلهم يقررون أنهم أخفقوا فى المهمة التى كلفهم بها دارون، وكانت الشجرة صورة من صورالأحاجى "الكاريكاتور" . مع العلم بأن الطريقة المستخدمة فى رسم الشجرة اعتمدت على تقنيات حديثة من حياة (بيولوجيا) الجزيئات والمورثات (الجينات) لفحص آلاف الأنواع, بالإضافة إلى طرق دارون القديمة من تفحص البنى التشريحية أو الوظيفية والتشابه الشكلى " المرفولوجى" . وكانت التى نالت الإجماع ليست سوى تصور مفرط التبسيط، وعلى الرغم من تعقيد الشجرة خاصة فى جذورها (شكل : ٣). فقد تكون الصورة المعدلة مضللة أيضا فى بساطتها، إنها نوع من الصور الكاريكاتوريةعلى حسب وصفهم لها التخبط فى التخمين حول السلف المشترك يوحى بسخافة انبثاق الحياة كلها من كائن فطرى خام بسيط، يضعنا أمام حقيقة تتلخص فى أن كل شئ خلق خلقا مخصوصا بحكمة وقدرة، وأن كل نوع خلق من زوجين اثنين ولم يأت منحدراً من نوع قبله، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات : ٤٩). وقوله أيضا ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

الداروينية الحديثة خطر

يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه "الإنسان بين المادية والإسلام" : (إن عيب نظرية دارون ليس فى الوقائع العلمية التى بسطها فى كتبه، وتابعه عليها أعوانه ومريدوه، وإنما هو فى إيحاءات تلك النظرية التى خلقت طابعها الخطر، لا فى أفكار الجماهير وحدها ، بل فى اتجاه العلماء كذلك منذ عهده إلى العصر الحديث". وبدورى أتفق مع الرأى السابق لأن ما بها من وقائع علمية لا يمت إلى العلم على وجه الإطلاق ، والخطر كل الخطر هو منحى العلماء فى تبنى النظرية. وكثيرا ما تجد علماء الحياة القديمة وعلماء الأحياء يتحدثون عن التطور، وإن تعددت المفاهيم حول التطور لديهم. وكأن التطور أصبح داءا عضالا لا برء منه، وكلما تهاونت أسانيده ابتدعوا له أسانيد لا تخلو من التخمين والظن.

فإذا كانت فكرة دارون التى سيطرت عليه هى فكرة تنازع البقاء، وحتمية الصراع من أجل الحياة يؤديان إلى تغير الأنواع وتحولها إلى أنواع جديدة أصلح للبقاء ، فإن شعار الداروينية الجديدة يفترض أنه (بوسع الباحثين إعادة بناء الماضى التطورى للأنواع الحية من خلال تباعد تسلسل الجينات أو البروتينات التى تم عزلها من تلك الكائنات الحية). والفكرة الجديدة مع ما تحمله من بريق لاستنادها على أحدث علوم العصر من حياة الجزيئات والجينات، ليست سوى إحياء للداروينية القديمة بعد ارتدائها ثوبا جديدا. وما على الداروينية الجديدة إلا أن تدرس جينات أو جينومات أو بروتينات منتقاه لأنواع تمثل الأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات التى تعيش على الأرض اليوم، ثم تحاول أن توجد علاقة جينية بينها، ثم تتخذ من تلك العلاقة دليلا على التطور باعتبار أن الأسماك أسبق ظهورا على الأرض من البرمائيات ، ثم تلتها الزواحف فالطيور وأخيرا الثدييات. وتظهر نظرية التطور الجينى ويصبح الجين هو الوحدة الأولى فى التصنيف بدلا من النوع. وإذا كانت الداروينية القديمة قد عجزت عن تقديم دليل مادى على التطور من واقع الأحافير أو الكائنات الحية، فالداروينية الجديدة تعجز بل هى بدأت عاجزة عن اثبات وجود حلقات التحول من جينات نوع إلى جينات نوع آخر دون الولوج إلى فرضيات لن تقل فى سذاجاتها عن فرضيات دارون. وللأسف يرددون فكرة التسلسل الجينى بدرجة مزعجة, لأنهم أوجدوا ذلك الفرض الجديد مرادفا لذلك لمبدأ الانتهازى المدعو " البقاء للأصلح".

ترويج الدارونية الجديدة

والحقيقة أن الله أعطى كل شئ خلقه ظاهرا وباطنا فى منظومة متميزة بين جينوم كل نوع وصفات ذلك النوع ، فإذا ما تقاربت جينومات أنواع معينة فلا يعنى ذلك إطلاقا تحدرها من بعضها البعض. وسأكتفى هنا بضرب مثلين يتضح منهما كيف تتم ولادة الدارونية الحديثة. فى المثال الأول تطرح الدارونية سؤالا:

١ – المثال الأول: ما سبب غرابة الصبغ (الكروموزوم) Y (شكل:٣) ؟

شكل (٣) : خلق الله الصبغين (X) و (Y) غريبين لحكمةٍ بالغة،وجميلُ أن يبحث العلم عن سر غرابتهما.

فالمعروف أن الصبغين **Y,X** يؤلفان زوجين غريبين ، فالصبغى **x** شبيه بأى صبغى آخر، ولكن الصبغى **Y** – الذى هو مصدر الذكوره– غريب جدا. وهنا يُتوقع أن الفكر المنطقى يبحث فى مكونات كل صبغ على حده ، ويوجد الفروق المميزة بينهما بعد تحديد صفاتهما. ولكن الفكر الدارونى الحديث يعمل بمنظار آخر ليصرف الناس عن حقيقة الخلق **(Creation)** ، لأنه يعلم أن الفطرة السوية تنادى بأن الله خلقهما هكذا لعلة ، وعلينا أن نبحث فى سبب ذلك التميز القائم بينهما. والأمر بسيط فكما أن الله خلق كل جزء من أجسادنا – قلب أو عين .. الخ ، على هيئته ليؤدى وظيفة بعينها، فقد جعل الصبغين هكذا. ولكن الفكر التطورى أخذنا بعيدا لينتقل بالقضية إلى طرح ظنى جديد هو: كيف وصل الصبغيان إلى هذا الاختلاف الشديد؟ وهكذا نجد أننا دخلنا فى شراك شباكه ويدخلنا معه فى فروض منها:

١– بدأ صبغا الجنس عند البشر حياتهما زوجا متوافقا ، ولنبحث عن البشر الأول لنجده فى عرف التطورين حيوانا متديبا زاحفا وجد منذ مئات الملايين من السنين من بين ما يعرف بالثدييات شبيهة–الزواحف .

٢– تعرض تاريخ الصبغيات الجنسية دائما للتغيير الصارخ ، ميزت الصبغ **Y** بخلل شديد ، وعوضت الصبغ **X** .

٣– الصبغ **Y** هو وحده الذى تردى.

٤– طلائع الصبغيات الجسدية لكل من **Y,X** ظلت متشابهة وسليمة فى الزواحف التى وجدت قبل بدء تفرع سلالة الثدييات بشكل واسع.

www.eajaz.org

فإذا ما سلمت بالافتراضات السابقة مع ما بها من تخمين ، تقودك الدارونية الحديثة إلى رسم مخطط تطورى خبيث يتلخص فى أن صبغيات الإنسان قد جاءت من ارتقاء صبغيات السعادين **(Monkeys)** . مخطط يبدأ بأسلاف الثدييات الشبيهة بالزواحف (منذ ٣٥٠ مليون سنة), ثم يليه تشوه بسيط فى ذلك السلف ما بين (٢٤٠–٣٢٠ مليون سنة) ، تم اضمحلال فى الصبغى **Y** (ما بين ١٣٠–١٧٠ مليون سنة) فى وحيدات المسلك، ثم انكماش الصبغى **Y** فى الثدييات حدث منذ (٨٠–١٣٠) مليون سنة، ثم اقتراب الصبغى **Y** من وضعه الأصلى فى القردة فى الفترة من (٣٠–٥٠) مليون سنة إلى أن جاء إنسان يحمل صبغين جنسيين مختلفين(شكل:٤).

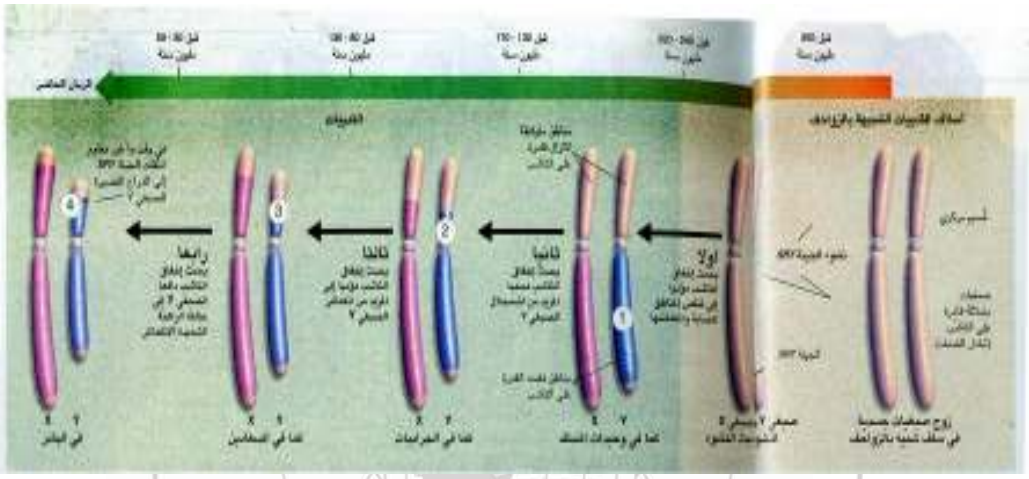

شكل (٤) : ليس من المانة العلمية أن يتخذ أنصار الفكر التطوري من أختلاف الصبغين (X) و (Y) وسيلة لرسم قصة وهمية تتم أحداثها عبر ٣٥٠ مليون سنة بهدف صرف الناس عن حقيقة خلقهما على حالتيهما المقدرة سلفاً في علم الله.

مفارقة عجيبة بدأت بالبحث عن سبب اختلاف الصبغى الجنسى Y عن زوجه الصبغى X ، لتخرج منها سلسيلا من القردة: مفارقة أشبه بالبحث عن سبب وجود أخوين فى عائلة, أحدهما قزم والآخر عملاق, لتخرج منها بأنهما ليسا ابنين لأبوين, ولكنهما جاءا من سلالة الضفادع مثلا. هذا مثال على فكر التسلسل الجينى ورسم الماضى التطورى. وجاء العلم يثبت رغم أنف التطوريين أن حواء أم البشر (Eve the common Ancestor of all humans) ليبطل تخمينات الذين تصوروا وجود سلف للإنسان من الثدييات شبيهة الزواحف. وهنا سأنتقل إلىمثال آخر يعكس هراء الفكر التطورى.

٢-المثال الثانى : التطور وقوام الإنسان:

والتطوريون كاذبون تعمى عيونهم وقلوبهم عن إدراك الحقائق، ففى الوقت الذى يثبت فيه العلم أن جسم الإنسان صمم فى أحسن تقويم ، نجدهم يرون فى مفهومهم التطورى أن أجسامنا تحتوى على عيوب. والسبب فى ذلك من وجهة نظر أولشانسكى وآخرين أن " قانون الانتقاء " الاصطفاء" الطبيعى – وهو القوة التى تصوغ سماتنا المحددة وراثيا على حد زعمهم- لا يستهدف الكمال أو الحياة الأبدية المليئة بالصحة. وفى تلك المقولة نجدهم قوما يعدلون الانتقاء الطبيعى بالإله، بل إنهم يتدخلون ليتخيلو تنقيحات مدخله على الصفات التشريحية للجسد (شكل-٥). ويقفز هؤلاء على الحقائق الموضوعية التى تؤكد أننا نعانى البلى بمرور الزمن مدعين أن الشيخوخة، وما يرافقها من اضطرابات ، ليست أمرا طبيعيا ، وليست أمرا يمكن تجنبه ، ويبيع هؤلاء الوهم للناس، معللين أن علم الطب الحيوى قادر فى المستقبل على التغلب على عيوب التصميم الموجود فى أجسامنا. والعجيب أن مصممى الجسد البشرى أصحاب التعديلات المدخله تناسوا عن ذكر الجينوم الذى يتكون من ١٠٠ ألف مورث ! أم أنهم سيدخلون عليها التعديلات أيضا ؟! (شكل:٥)

شكل (٥) : خلق الله الإنسان في أحسن تقويم و اجرى عليه سنة تنكيس خلقه كلما زاد عمره . و للأسف أعتبر دعاة التطور التنكيس عيوباَ لعلهم يصلحونها أملاَ في إطالة الحياة .

لم تفد الأحافيرنظرية دارون

بطلت نظرية التطور بثلاث حجج: أولا: عدم مشاهدة أى إرتقاء من أى نوع كان فى الأحياء التى تعيش على الأرض من آلاف السنين . ثانيا: عدم وجود حلقات وسطى فى السجل الأحفورى اللازم وجودها أثناء عملية تحول الأنواع كما تفترض النظرية. ثالثا: كذب إدعاء أن قصر الزمان لا يسجل الترقى ، لأنه مع طول الزمان الجيولوجى لم تسجل حالة ترقى واحدة ضمن سجل الحياة القديمة.

وفيما يلى نوضح بطلان النظرية من النواحى التى يعدها دعاة التطور مؤيدة لها. ولسوف أشير إلى النقاط التالية:

١- أحافير الإدياكارا وكائنات طفلة بورجس تضرب النظرية فى الصميم.

٢- تطور الفكوك فى الأسماك ظن لا دليل عليه.

٣- أصل البرمائيات ما يزال لغزا.

٤- أصل الزواحف ما يزال لغزا.

٥- لغز أصل الثدييات.

٦- لغز الكائن العتيق.

٧- شجرة الأحصنة خطأ محض.

٨- أكذوبة أصل الإنسان ، فحواء أم البشر.

تأتى الضربات للدارونية من حيث لا تحتسب ، من حيث يطالب أتباع نظرية التطور بالدليل على حدوث التطور، يتعللون بأن التطور يحتاج إلى وقت طويل ، ولا بد أنه حدث فى أحقاب متطاولة توجد شواهده فى أرشيف الحياة القديمة. ومن واقع تخصصى وتدريسى لمقررات علوم الأحافير والتأريخ للأرض ، اتضح لى كذب محاجة التطوريين. ومن كتاباتهم نأتى بالأدلة على كذب عملية التحول المزعومة عبر الزمن الجيولوجى. ولست متحاملا على النظرية وأصحابها ، فقد أتيحت لى دراسة التطور أثناء الإعداد لأطروحة الدكتوراه بجامعة موسكو فى فترة الثمانينات. وتلك هى الأدلة من واقع السجل الأحفورى التى تشهد بسقوط النظرية التى كانت تعد من دعائم النظرية:

١ – كائنات الإدياكارا وطفلة برجس خلق فريد:

إنتشرت أحافير الإدياكارا وأحافير الطفلة بورجس على مستوى العالم.وسادت الكائنات الأولى خلال الفترة الانتقالية بين زمان عالم الحياة الخفية (٣٨٠٠ حتى ٥٧٠ مليون سنة), بينما تواجدت كائنات طفلة بورجس فى الفترة الوسطى من عصر الكمبرى الذى يمثل بداية عالم الحياة الظاهرة الذى استمر منذ ٥٧٠ مليون سنة حتى يومنا هذا. وتمثل كل منهما ملمحا فريدا فى الخلق. وتشتركان فى ظهورهما الفجائى من غير سلف كما تدعى نظرية التطور ، واختفائهما المفاجئ أيضا دون أن يتركا وراءهما خلفا، الأمر الذى يقطع بفشل نظرية التطور التى تدعى كذبا بتحدر الأنواع بعضها من بعض. وكائنات الإدياكارا الغريبة تمثل أول تجمع حيوانى معروف يفتتح (يدشن) به عصر الحيوانات الكبيرة نسبيا (الميتازوا) ، وهى تمثل صورة فريدة من صور الخلق (شكل٦) . وغرابة تلك الكائنات جعلت عالم الأحافير زايلخر (Seilacher) يُصرح بأنها تختلف عن القبائل الحالية لدرجة يلزم معها استحداث تقسيمات جديدة تضمها. ونظرا لظهورها الفجائى وانقراضها دون أن يعقبها خلف لها، نجد علماء التطور يصفونها بأنها تمثل تجربة فاشلة.

وللأسف وصف دعاة التطور إشراقة الخلق الفريدة بالتجربة الفاشلة، دون أن يسألوا أنفسهم من وراء تلك التجربة؟ أم أن معيار النجاح أن يأتى موافقا لنظرية التطور؟ الحقيقة أنهم لا يريدون إطلاقا النطق بكلمة الخلق. تجربة فاشلة فى خيالهم المريض مع أنها انتشرت على مستوى العالم لمدة قرابة ١٠٠ مليون سنة. وكائنات طفلة بورجس (Burgess Shale Fauna) تمثل أروع مكتشفات الأحافير فى القرن العشرين. وهى تمثل بقايا كائنات حية تعيش فى الفترة الكمبرية الوسطى منذ ٥٥٠ مليون سنة ، وتتميز بالثراء لدرجة أن عالم الأحافير ستيفن جولد (Steven Gould) ذكر أن أحافير ذلك المنجم الصغير الموجود فى غرب كندا يزيد تنوعها التشريحى عن كل كائنات محيطات اليوم. وكائنات طفلة بورجس بلغ من تنوعها درجة عظمى حتى أن المفصليات وحدها تحوى عشرين نظاما تشريحيا، بالإضافة إلى وجود ٢٠ أحفورة لم يمكن وضعها فى التقسيم الحالى للكائنات اليوم.

شكل (٦) : أحافير طينة بورجس الشديدة الغرابة تمثل أروع صورلحفظ الأحافير،وتضـــرب نظرية دارون في الصميم.

هل يعقل أن توصف إشعاعة الحياة التى تمثل انبثاق كائنات طفلة بورجس بأنها تجربة فاشلة أو كما يزعم ستيفن جولد بأنه محض الصدفة **(Element of chane)** .

هؤلاء التطوريون درسوا سجل الحياة القديمة فوجدوا أن السجل فقير إلا من لحظات تشـــعت فيهـــا الكائنات كما هو الحال فى كائنات طفلة بورجس التى حفظ جسمها الطرى فى صخور تكونت منـــذ حوالى ٥٥٠ مليون سنة. ولكنهم للأسف استبعدوا فكرة الخلق وتمحكوا بكلمات هلامية لا تحمـــل معنى من مثل التجريب أو الحظ أو الصدفة. ومع الفارق الشديد بينهم وبين قصة العبد الصالح الذى مر على القرية الخاوية فتعجب من إحيائها بعد موتها فأراه الله أياته فى الخلق, والتى عبر عنها القرآن الكريم فى قول الله تعالى: ﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فـــانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير﴾ (البقرة : ٢٥٩).

٢ – *تطور فكوك الأسماك لا دليل عليه:*

من المعروف لدى علماء الحياة القديمة, أن الأسماك عديمة الفكوك ظهرت قبل الأسماك ذوات الفكين, فى حقب الحياة القديمة المبكر. وظهور الفكوك فى ملة التطوريين, تمثل سمة نحو الأصلح, وبالتالى فقد صارعت الأسماك لتمتلك الفكوك كما يزعمون. وهلل دعاة التطور مدعين أن ظهور الفكوك يمثل حجر الزاوية فى تطور الأسماك. ولكنى أرى أن أى حديث عن ظهور الفكوك يجب أن يتصدره الجملـــة التالية المأخوذة من كتاب العوالم البائدة (ص ٢٥٤): (لا يوجد شاهد حفرى على المراحل الوسطية فى تطور الفكوك عن أسماك ليس لها فكوك). وهذا هو النص الأصلى الذى ورد فى المرجع السابق:

(No direct evidence of the various intermediate steps exist (vanished worlds. P. ٢٥٤).ومع أن دعاة التطور لم يشاهدوا فى سجل الأحافير شيئا على الإطلاق يدل على مراحل ظهور الفكوك, إلا أنهم من دراسة تشريح الأسماك, وجدوا أن الأسماك عديمة

الفكوك وهى الأقدم ظهورا على الأرض تمتلك ثمان أقواس خيشومية تدعم الخياشيم ، بينما الأسماك ذوات الفكين تحوى فقط على ستة منها. وهنا أوحى إليهم خيالهم المريض أنه عبر الزمن ، وبالتدريج اختزل الزوجان الأوليان واختفيا ، ثم أتى الدور على الزوجين الثالث ليلتحما ويكونان الفك العلوى والسفلى (شكل:٧), وجاء ذلك فى ظنهم استنادا على أن اختزال عدد الأقواس يمثل صفة تطورية.

وأنا بدورى أكاد أجزم بعد فهم فكر التطوريين أنهم لو عثروا على الأسماك ذوات الفكوك ذات الستة أقواس خيشومية فى سجل أقدم من سجل عديمة الفكوك لقالوا لنا أنها تحولت إلى عديمة فكوك نتيجة إضافة زوجين جديدين ، وحينئذ سوف يعتبرون اختزال العدد ظاهرة تطورية. إنهم يفسرون الأشياء كما يحلو لهم. ولو قيل لهم لو حدث التحول مرحليا لماذا لم نعثر على هيكل سمكة واحدة ضمن بلايين الأسماك التى ماتت وحفظت لها سبعة أقواس أو سبعة ونصف مثلا، سيقولون إن ذلك يرجع إلى نقص (gap) فى السجل الحفرى.

لكن أليس من العجيب حقا أن السجل دائما وأبدا يوجد به عينات تحتوى إما على ستة أو ثمانية فقط ، حقا إنه إصطفاء حكيم ! فى زعمهم يحفظ المنتج النهائى ويعرض عن الوسائط. من الواضح أن عملية الاختزال لا توجد إلا فى عقولهم المعرضة عن الحق. ثم لماذا لم تتحول كل الأسماك عديمة الفكوك إلى أسماك ذات فكوك ، مع العلم بأنهما عاشا معا فترة زمنية قاربت الستين مليونا من السنين. وبعد أن ساد اعتقاد بأن الأسماك عدية الفكوك قد بادت فى حقب الحياة القديمة منذ العصر الديفونى– أى منذ حوالى ٣٦٠ مليون سنة – فقد ظهرت أحد الأنواع من الأسماك عديمة الفكوك فى مياه البحار الحديثة. وهذا يؤكد أن ظهور الفكوك نتيجة عملية التطور أكذوبة اخترعها وروج لها المبطلون.. فأين أنت يا حمرة الخجل؟.

www.eajaz.org

٣– *لغز أصل البرمائيات ثالث الأثافى:*

فىالسعى الدءوب لإثبات التطور المزعوم حاول الفكر التطورى إثبات أن البرمائيات قد انحدرت من الأسماك ، ولكنهم لم يتفقوا على السلف السمكى الذى جاءت منه البرمائيات، من أى مجموعة من الأسماك: أمن ذوات الزعانف الفضية؟ أم من الأسماك الرئوية ، أم من أسماك (Epidistans) أم من أسماك (Coelacanths) . فعلى حين يعتقد البعض أن النوع الثانى هو الأصل، نجد أن الدراسة الحديثة ، التى أجراها جراندر (Grander) من جامعة لندن ، تشير إلى أن

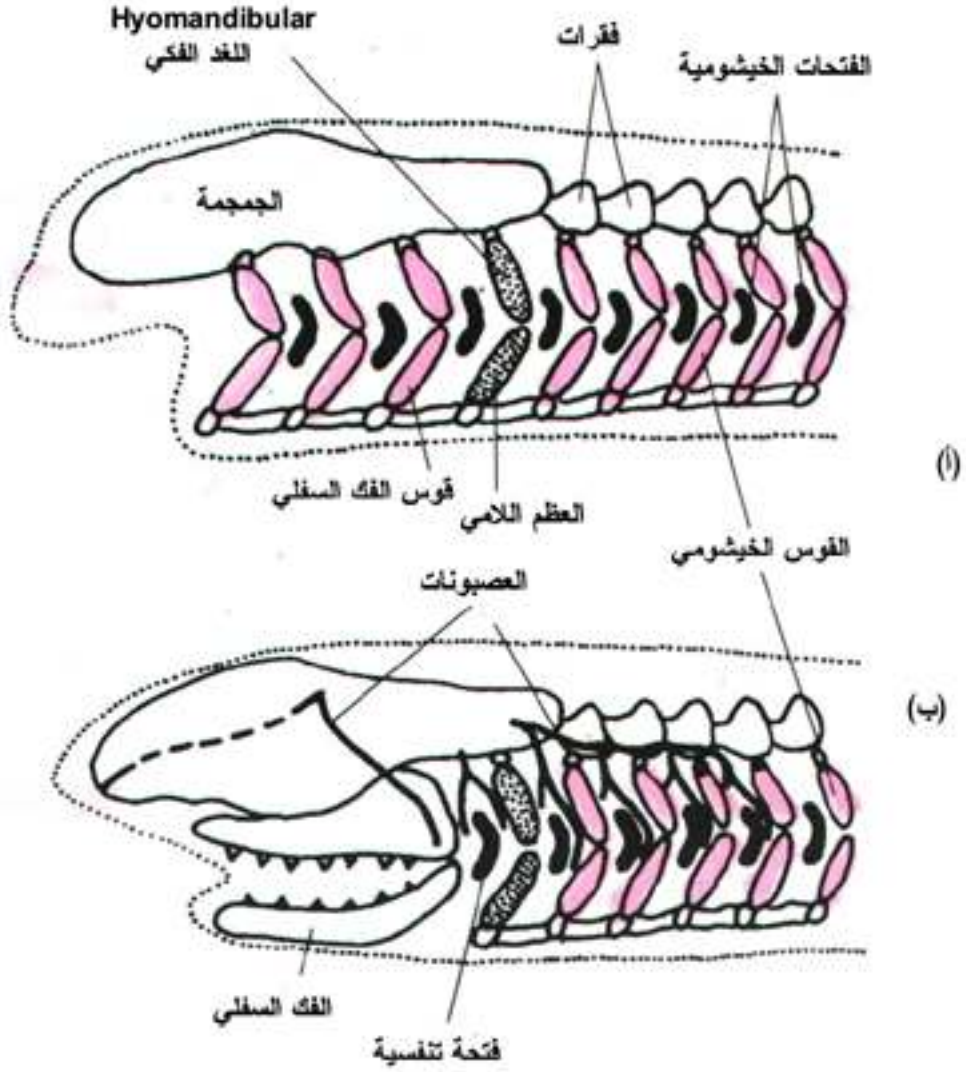

شكل (٧) : تطور مزعوم لفكوك الأسماك لا دليل عليه سوى الظن، حيث لا توجد أحفـــورة واحدة لسمكة واحدة حفظت مراحل : إختزال الفكوك الأولى و تحول الثالث منها إلى فكين : علوي و سفلي،فالأحافير إما ان تحوي ٨ أزواج من الأقواس الخيشومية(الأسماك عديمة الفكـــوك) أو ٦ منـــها (الأسماك ذوات الفكوك).لا يوجد هناك إطلاقاً حلقة وسطى

أصل البرمائيات هو الأسماك ذوات الرئات (Crossopterygians) . وإنه لمن الغباوة أن نرجع أصل البرمائيات إلى الأسماك إستنادا على التشابه الظاهرى فى عظيمات الطرف الخلفى فى أحد الأسماك البائدة من العصر الديفونى وأحد البرمائيات. تصور مفرط فى السذاجة أن تدعى أن كل ما له خمس من الأصابع فهل يعقل أن ننسبها ومع الإنسان أيضا إلى أصل واحد؟! فليحرسنى الله من أفكار دعاة التطور.

٤- *لغز أول الزواحف بلا حل:*

اللغز الرابع الذى هو أصل الزواحف: فإن بدا لأنصار التطور بديهيا وجود سلسلة التطور من الأسماك إلى البرمائيات ، ومن البرمائيات إلى الزواحف، فإن الكلمات الآتية تذكرها المراجع العلمية: (لكن السجل الأحفورى يحوى سفسطه ولغطا فيما يتعلق بالتنظيم الفيزيائى والتشريحى. ولا يزال الإيهام يحيط بخطوة الانتقال من البرمائيات إلى الزواحف). وعلى الرغم من الاشتراك بينهما فى بعض الصفات إلا أن طريقة التكاثر تعد فرقا واضحا بينهما. فأولاد الزواحف تخرج مكتملة النمو من البيضة الأمنيوتية (Amniotic egg) دون المرور بطور أبى ذنيبة كما هو الحال فى البرمائيات . كما أنه توجد فروقا بين البرمائيات والزواحف تتعلق بتشييد عظام الأطراف، وأنماط الفكوك ، والتسنن وبنية الجمجمة، والأذن ، وشكل الضلوع، وتشييد الفقرات. وكالعادة لا توجد حلقة وسطى.

٥- *اللغز الخامس: أصل الثدييات:*

قلت إن الفكر التطورى لن يعدم الظن مستنكفا الخلق الخاص، وها هو موضوع أصل الثدييات يخترع ما يسمى بثدييات شبيهة الزواحف قد ظهرت فى نهاية العصرالبرمى. ويعدون جنس سيانوجناثس مثالا جيدا لتلك المخلوقات مع التحفظ حول ما إذا كان لها فرو، وما إذا قامت بتنظيم درجة حرارتها ذاتيا. والسجل الجيولوجى فى ذلك عقيم ولا يقدم جوابا عن التساؤلين السابقين. أما كيف توزن أدلتهم فهذا شئ عجيب. لقد استشهد التطوريون بوجود فرد غير ناضج (immature) فى أحد الأعشاش بجوار عش جنس تيرينادون (*Thrinadon*) فى صخور العصر الطباشيرى فى جنوب أفريقيا، فاستدلوا من ذلك على عناية الآباء بصغارهم، الأمر الذى يرجح انضمام ذلك الفرد إلى قائمة الثدييات ... هكذا تزن الأدلة!!. هذا وقد ساد الإعتقاد بأن الجنس الوحيد المسمى ستيريوجناثس

(*Stereognathus*) الذى نجى من الهلاك فى نهاية العصر البرمى (منذ قرابة ٢٠٠ مليون سنة) ومعه بقايا جنس سيانوجناثس كانا من الثدييات. وهنا تأتى الدراسات الحديثة تزيد الأمر تعقيدا فتضعهما فى فرع جانبى فى شجرة التطور ضمن ما يسمى " بالأناسى" قبل ظهور ما يعرف " بالإنسان العاقل"!.

٦ – *اللغز السادس: طائر وليس بطائر:*

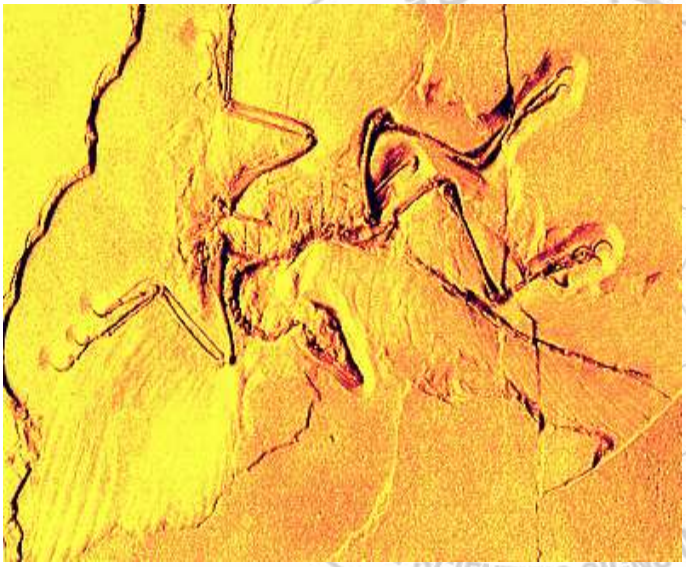

شكل (٨) أحفورة الطائر العتيق(ألأركيوبتيركس)الذي أتخذه دعاة التطور حلقة وسطى بين الزواحف و الطيور وقد أحاطت به الشكوك

يعتبر دعاة التطور طائر الأركيوبتركس (*Archaeopteryx*) هو أول الطيور ظهورا على الأرض(شكل:٨). ويعدونه حلقة مثالية للوصل بين الزواحف والطيور مدعين أنه لولا وجود الريش ما عُد من الطيور، بل كان زاحفا بلا جدال. وأرى أن الطائر ربما ليس بطائر، ولكنهم جعلوه وسطا حين أرادوا له ذلك. ويؤكد ذلك أن علماء التصنيف المحدثين لا يضعونه في الخط الأساسى الذى انحدرت منه الطيور، ويعارضون فكرة الحلقة المفقودة، بل يطرحون سؤالا بريئا أين ظهر الطائر الحقيقي ؟ إنه ما يزال لغزا. ومن المستبعد أن يكون " الطائر العتيق" المشار إليه زاحفا، وما ريشه إلا زخرفة في جلده قد حفظت في الصخور. ويجب أن نعى الجملة التالية التي ذكرت في أحد مراجع التأريخ للأرض:

شكل (٩) يلقي إكتشاف الريش في الزواحف ظلالاً كثيبة على الحلقة الوسطى بين الزواحف و الطيور (عن مجلة أمريكا للعلوم)

"Modern taxonomists do not place *Acharopteryx* on the main line of descent of birds and reject the simple missing-link idea"

وأريد أن انبه على انه عند مراجعتى للفقرة السابقة بعد كتابتها بعدة سنوات, اذا بى أطالع العنـــوان التالى الذى تصدر مجلة أمريكا للعلوم (المجلد ١٩– العدد ١٠–أكتوبر٢٠٠٣) :أيهما نشأ أولا الريشة أم الطائر ؟ حيث اكتشف وجود الريش فى أحافير الدينصورات التى عثر عليها أخيرا بالصين (شكل:٩). وهنا تأكد لى ما أعتقدته من قبل عـــن الحلقـــة الوهمية التى روج لها أنصار التطور التى يمثلها الطائر التيق بزعمهمز والحقيقة أنه ليس طائرا, بـــل انـــه زاحف جعلوه طائرا لسبب لال يخفى على عاقلز فهل هذا علم أم دجل؟!.

٧– لغز الحصان:

يعدون تطور الأحصنة مثالا رائعا للتطور مع العلم بأن شجرة الأحصنة معقدة جدا. وفيمـــا عـــدا الحصان الحديث من جنس إكيوس، فقد انقرضت جميع مصنفات عائلة الخيل. وقد عثر على بقايا أول الأحصنة فى صخور الأيوسين السفلى (منذ قرابة ٥٠ مليون سنة) وكان فى حجم الكلب، وله ٣–٤ أصابع فى كل قدم (ويقال أربع صوابع فى القدم الأمامى و ٣ فى القدم الخلفى). وفى عصر الميوســـين التالى كبر حجم الحصان ، وقل عدد أصابعه، وتواجد منه أحد عشر جنسا منتظمة فى أربعـــة خطـــوط عُمرية , ثم ظهر الحصان الحديث فى البلايستوسين. وعلى الرغم من أن علماء التطور يحسبون الحصان مثالا تقليديا للتطور ، إلا أنهم قد اختلفوا فى الكيفية التى تم التطور بها، أهو تكون وفقا لنموذج التطور التدريجى (تطور بالجملة!) أم وفق نموذج الفواصل (تطور بالقطاعى!) ؟!.

www.eajaz.org

وما يقال من أن تطور الحصان الفريد حدث عبر ست أشكال وسطية يكذبه الظهور المفاجئ للأحصنه. ويقول العالم باتى فى كتابه التحليل الرياضى لنظرية التطور :(إن تعميم صفة من الصفات عن طريق الطفرة، فى سلالة من السلالات ، لا يمكن أن يستغرق أقل من مليون جيل من الأجيال المتتابعة. وحتى لو سلمنا بقدم الأحقاب الجيولوجية، فمن الصعب أن نتصور كيف أن حيوانا حديثا مثل الحصان ، قد نشأ من سلفه الذى كان عدد الأصابع فى قدمه خمسا فى الفترة من العصر الحجرى حتى الآن). يقول الأستاذ ديستول من جامعة درهام: (ن شجرة نسب الحصان أصبحت تقليدية "كلاسيكية" عند علماء التطور ، إذ يقولون بأن الحصان بدأ فى شكل مستقيم حتى غدا الفرس الذى نراه اليوم ، وهذا القول خطأ محض). وقد عثر فى طبقة واحدة على نوعين ، وأحيانا ثلاثة أنواع من الخيول. ويبدو أن كل واحد من هؤلاء الوسطاء قد ظهر مستقلا عن الآخر، وفى هذا حزن ويأس لدعاة التطور.

نماذج التطور الملفقة

يخطئ خطأ كبيرا من يتصور أن نماذج التطور **(Models of evaluation)** فيها شئ من العلم والحقيقة. وأصدق ما يقال فيها أنها أكاذيب مزخرفة وإن نسبت إلى علماء مرموقين فى مجال دراسة الأحافير القدية والأحياء. وهى من وجهة نظر واضعيها نماذج تفسر الآلية التى ظهرت بها الأنواع الجديدة من أنواع سبقتها فى التواجد على الأرض. ولن نُحاج فى أن هؤلاء لم يشهدوا خلق أنفسهم (الكثرة منهم تنكر الخلق) فكيف بهم يتناولون ظهور الخلائق قبل الإنسان : وصدق الله حيث يقول: ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا* ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا﴾ (الكهف : ٥٠-٥١). وأرى أن نماذج التطور ليستا الا هراء يزعمون أنها الالية التى تفسر وجود الكائنات من دون الله. وسأحاج النماذج ذاتها. فمن المعروف أن نماذج التطور كثيرة أهمها ثلاثة تهدف إلى ما يسمى بشجرة الإنساب أو " شجرة الحياة" ، (**Tree of life**) وهى:

١- التطور التدريجى (Phyletic gradualism) (شكل-٧): ويحلو لى أن أطلق عليه "التطور بالجملة" ، نظرا لأنهم يدعون أن عملية التطور تمارس دورها على جميع أفراد النوع حتى تدفعها عبر أزمنة متطاولة في ضوء ماأسموه "الارتقاء الطبيعى) إلى التغير إلى أنواع جديدة ووفق هذا النموذج يجب أن تظهر عبر الأزمنة المتطاولة حلقات وسطى تشير إلى هذا التغير. ولكن كما أسلفت من قبل ، إن جميع الحلقات الوسطى لا وجود لها فى سجل الأحافير على الرغم من أمد فتراته الطوال. ولكن أصحاب هذا الزعم يتعللون بعدم إكتمال السجل الجيولوجى. وبدورى أذكر ما قلته من قبل لماذا مع عدم اكتماله يحفظ فقط ودائما الشكل النهائى للأنواع الجديدة دونما حفظ حالة واحدة وسيطة. وبالتالى فهذا نموذج فاشل لا دليل عليه, وهكذا فشل نموذج التطور الذى افترحه دارون.

٢- نموذج الفواصل (Punctuated Equilibrium): ويحلو لى أن أسميه نموذج " التطور بالقطاعى " أو نموذج الخداع، لأن التطور يمارس على فئة معينه وليس على الجمع، حيث تهاجرتلك الفئة وتنعزل عن بقية أفراد النوع. وبعد أجيال متعاقبة تصبح الجماعات منعزلة جنسيا ثم ترقى إلى أنواع جديدة . وعلى سبيل التقريب مثلا لو أن جماعة من زنوج أفريقيا هاجروا إلى السكا أو سيبيريا مثلا وانعزلوا انعزالا كاملا جغرافيا وجنسيا عن أفراد موطنهم الأم ، فإن نسلهم بعد عدة ملايين من السنين لن يكون قادرا على التزاوج من نفس موطنهم الأصلى كما يزعمم أنصار التطور!. إن صاحبى هذا النموذج هما نيلز الدردج (Niles Eldredge) من المتحف الأمريكى فى نيويورك و ستيفن جولد (Steven J. Gould) من هارفرد قد استخدما (عام ١٩٧٢) خيالهما الواسع فى وضع هذا النموذج ليفسرا تارة تشابه الكائنات فى الطبقات المتعاقبة, وتارة فى تفسير عدم التشابه استنادا على الهجرة والانعزال التام. وأستُقبل النموذج بالترحيب أولا, ثم توالى النقض عليه بعد ذلك, وفشل النموذج كما فشل دارون فى تفسير ظهور الكائنات على الأرض.

٣- النموذج الشبكى (Reticulate speciation) : وأطلق عليه نموذج "الأحاجى", فقد حاول عالم الأحافير الشهير أرنست ماير أن يجمع بين النموذجين السابقين, فجاء نموذجه غاية فى التعقيد بحيث يعجز علماء الأحافير عن تطبيقه على السجل الأحفورى. وإرنست ماير كما أشرت من قبل يرى أن أعظم إنجاز لدارون هو أنه رفض جميع الظواهر والمسببات فوق الطبيعة.

وهكذا عجز منظروا التطور عن تقديم آليه لظهور اللكائنات تباعا, بسبب أنهم جحدوا الخلق، ولن ينفعهم الذين يدعون من دون الله.... ويبقى قول الحق تبارك وتعالى هو الفصل: ﴿ قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب* وقل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ (سبأ – ٤٨-٤٩). والحق فى ظهور الخلائق هو الخلق ومن ورائه الخالق، والباطل هنا هو التطور ومن ورائه دعاته.

تطور الإنسان أكذوبة كبرى

أكذوبة الأناسى قبل آدم عليه السلام:

الحقيقة المؤكدة أن نسل كل شئ يأتى على شاكلة أبويه، فالإنسان يلد إنسانا بشرا، والقرد لا يلد إلا قردا... وبصفة عامة كل نوع لا يخرج عن حدوده. وحدود كل نوع مفصولة عن حدود جميع الأنواع بحواجز لا يمكن تخطيها. والحقيقة الأخرى أن تشابه مكونات الأسرة الواحدة (الأسرة فى علم التصنيف تضم الأجناس) ، لا يدل على تطور عضوى، ويدل على أنها أنواع أو أجناس مختلفة لجماعة واحدة.

وفى مجال ما يسمى" بتطور الإنسان" أورد الحقائق الآتية:

١- لاعلاقة للإنسان- الذى هو نحن - بذلك المدعو " القرد الإنسان" (*Astralopithicus*) إطلاقا.

٢- المدعوة **Lucy** أو استرالوبيت عفار (*Astralopithecus afarensis*) ليس إلا شيئا ابتدعه داود جونسون من خياله مدعيا أنها أقدم رفات البشر، لا تعدوا إلا أن تكون من القردة.

٣- ما يسمى " بالإنسان منتصب القامة" أو الإنسان القرد ليس إلا قردا، ولم يزد حجم أدمغة أرفعها عن ٧٥٢سم^3 ، ولا يلتفت فى ذلك إلى كلمة " إنسان" التى أُدخلت للخداع فى مسميات أناسىّ مزعومة من مثل "إنسان هيدلبرج" و " إنسان رودس" وغيرها.

٤- لا علاقة بين ما يسمى إنسان نياندرتال ونحن ، كما أسلفت من قبل.

٥- أكرر لأن الشئ إذا تكرر تقرر أن " إنسان بلتدادون" وأناسى" علماء التطور ليس إنسان الله – آدم- كما أن جد بشرهم المزعوم ليس أبو البشر من قريب أو بعيد. والعلم لم يصل فى مسألة أصل الإنسان إلى رأى قاطع.

٦- إنسان بلتداون **"Piltdown Man"** إنسان مزيف وفضيحة كبرى **(Hoax)** .

شجرة تطور الإنسان شجرة خبيثة

وما زال الحديث موصوللا حول السادة ! الأناسى فالسيد هابيل أو (الماهر) لُقب بذلك الإسم بسبب ما كان يظن من أنه صانع الأدوان الصوانية التى يرجع عمرها إلى ١.٨ مليون سنة، ومع أنهم لم يشهدوا خلقه إلا إنهم يعتقدون أن السيد هابيل ! شكل النصول الحادة بضرب حصاة صخرية بأخرى. وكما أسمى دافيد جونسون أحد القردة القديمة بـ "لوسى" فقد اقترحوا اسم " فتى تركانا" الذى جُمعت رفاته من موقع فى شرق تركانا فى كينيا ، والذى يعود عمره إلى الفترة من ١.٩ إلى ١.٨ مليون سنة مضت. وقد قيل أنه خرج مهاجرا كما ومعه بقية أفراد نوعه من إنسان يسمونه أرجاستر (***Homo ergaster***) فى أول خروج بشرى ! (**exodus**) من أفريقية فى رحلة مجهولة لم يعرف علماء الإنسان تفاصيلها بعد. وهم بالتأكيد لن يعدموا الوسيلة فى تخيل ذلك الخروج . والمعروف أن الذى هاجر ولم يعد كان قردا! ، ومع ذلك ترى جهابذة العلم يتحدثون عن هجرة البشر.. ويتوهم الناس أنهم مثلنا... وهم فى الواقع قردة ورئيسيات لا توجد اى صلة توالدية بيننا وبينهم. فلماذا لا نسمى الأشياء بمسمياتها ،فنقول هجرة القردة الأولى مثلا؟. ومع أن السيد أركاستر على ما يبدو كان يأكل اللحم إلا أن أسنانه الماضغة كانت صغيرة نسبيا. ومن ينظر إلى صورته المُتحفية يعجب من أين جاءوا بتفاصيل الصورة الحية ، مع أن ما عثروا عليه من بقايا لا تعدوا إلا أن تكون قحف جمجمة صغيرة فى حجم جماجم القردة فى كينيا، أو فكا سفليا فى جورجيا، أو كِسْرة من هيكل فى أوروبا، أو نحو ذلك فى جاوة والصين. ويبدو أن " إنسان ! إرجاستر " كان واسع الانتشار ولربما سادت العولمة فى ذلك الزمان مع الخروج الأول للسيد أرجاستر القرد الإنسانى! كما هى سائدة اليوم مع ظهور العمالقة المتكبرين!

وأبسط ما يقال فى شجرة الحياة المزعومة للبشر أنها صورة كاريكاتورية بلهاء رسمها مدلس ذو خيال بارع لا يحكمه العلم بل يسوسه الهوى والظن. وأسجل تلك الملاحظات على ما يسمى شجرة البشر المنشورة فى الصفحة رقم ٢٨ من مجلة أمريكا للعلوم (شكل:١٠).

أولا : فيما يتعلق بالعنوان المدون تحت مخطط الشجرة يجب الانتباه إلى شيئين:

١- أن شجرة النسب مفترضة حتى لا ينخدع أحد متوهما أن التسلسل حقيقى.

٢- لما كان هناك عجز عن إثبات أن الإنسان قد جاء نتيجة تصاعد رأسى من أصول سبقته، فإذا بالعنوان يبرز خدعة أخرى مؤداها أن الإنسان جاء نتيجة " تطور متعرج متعدد الوجوه" ... ولما كانت

الكلمات بين القوسين قد صيغت بخبث ، فإننى أقربها إلى الأذهان .. إنها محاولة من أراد أن يرجع سبب وجود الأسد بأنه انتقال من عدة اتجاهات... ربما من النمر والضبع وقط البرارى. وكلمات " تطـــور متعرج متعدد الوجوه" تعبر عن العجز عن الصعود فى سلم مستقيم أو السير فى خط مستقيم.

ثانيا: بداية أصل الإنسان فى الشجرة الملعونة غير معروف بدليل وضع علالمة استفهام عنـــد جـــذرها. والصورة الساذجة أقرب بمسافر لا يعرف الطريق, ويبحث عن هدف نهائى ولكنه لا يعرف مـــن أيـــن يبدأ. ومع عدم علمه بالبداية قرر السير وفق هواه, ومن المؤكد أن النهاية لن تكن صـــحيحةكالبداية تماما. وينطبق على ذلك قول يائس: " جئت لا أعرف من أين أتيت، ولكنى سرت فى طريق فمشيت" .

www.eajaz.org

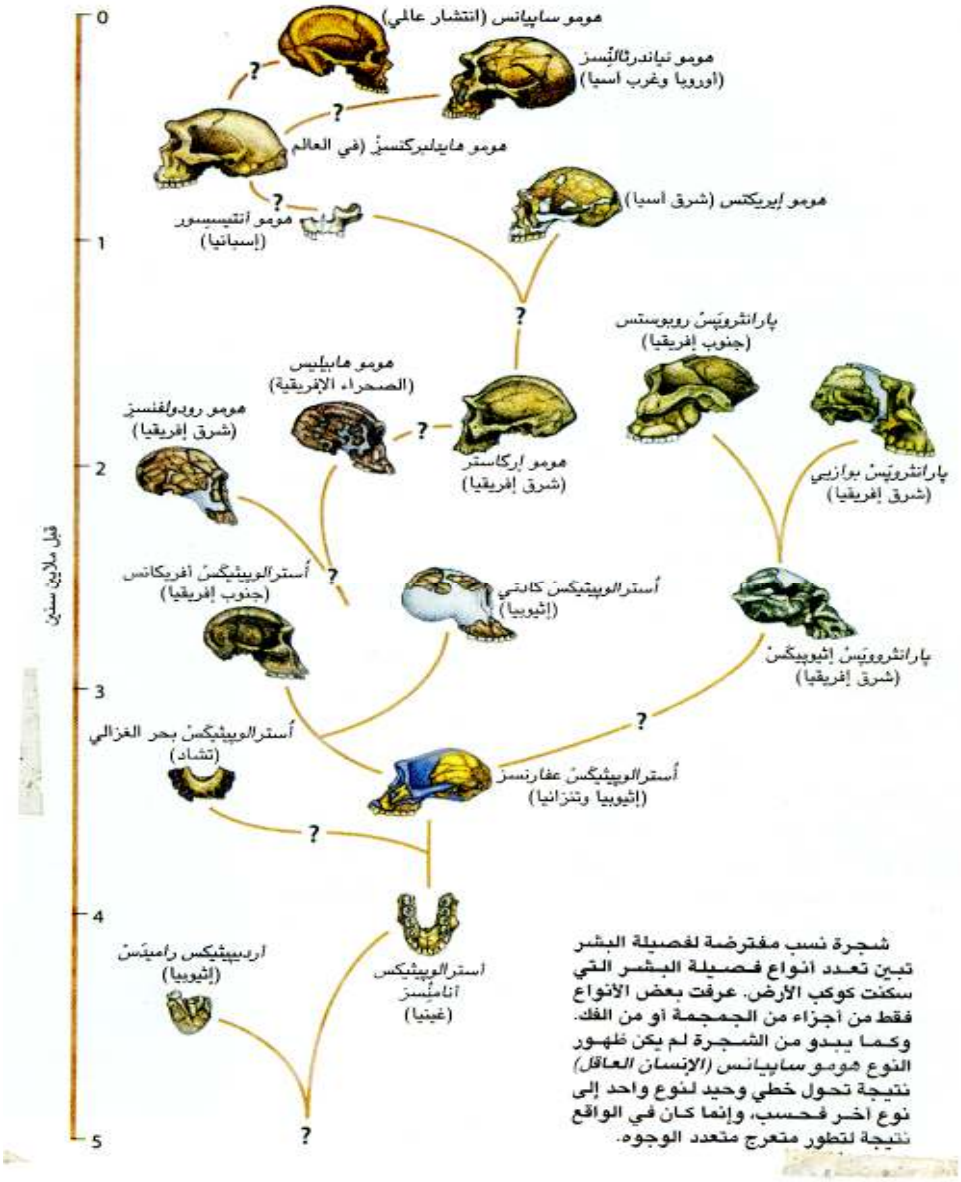

شكل (١٠) شجرة تطور الإنسان المزعومة لا أصل لها في الحقيقة و تقوم على الظنـــون وتكثـــر بهـــا علامات الإستفهام الكثيرة و الفروع الجانبية المنتهية.أنها حقاً شجرة خبيثة.

إن أروع تعبير عن تلك الشجرة أنها شجرة خبيثة عبرت عنها كلمات القرآن حيث يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (ابراهيم : ٢٦-٢٧)

ثالثا: ويتضح من شجرة نسب الإنسان " الخبيثة" أن:

١- من المجهول نشأ فرعان أحدهما ضل الطريق فانزوى فى ركن جانبى (حارة سد) هو أرديبثكس راميدوس(***Ardipithecus ramidus***) أو اختصارا آرام. وهو ممثل بكسرات من الأحافير عثر عليها فى موقع أراميس بأثيوبيا تعود إلى ٤.٤ مليون سنة مضت. ومع أنهم يعتبرونه أول فرد بشرى محتمل، إلا أنهم لم يقولوا لنا أنه قرد, مع أنه كذلك, وكان قدرا عجيبا أن يحوى اسمه على لفظ قرد التى نقولها بالعامية "إرد" " ونقصد قرداً, وأيضا قدر عجيب أن يكون الإسم الثانى من اسما يهوديا : "أراميس". أما الفرع الآخر والذى سمحوا له بالارتقاء فهو استرالوبيثيكس أنامنسز ، والسيد (مستر) أنام قرد يشبه السيد لوسى ، القرد البشرى الذى اخترعه داوود جونسن. باختصار أنام ، وراميدس قردان ، وهذان هما الجدان للناس اليوم فى زعمهم ، " كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا" وتلك هى المرحلة الأولى من شجرتهم المزعومة.

٢- من " أنامنسز" تولد قردان ، أولاهما استرالوبيثيكس بحر الغزال (***Autratopithecus bahrelghazali)*** من تشاد وقد انزوى مثل جده آرام فى حارة سد ، أما الآخر فهوالقرد عفار المسمى علميا استرالوبيت عفارنشس (***Australopithecus afarensis***) فقد نشأ منهما بزعمهم ستة أنواع من القردة (ذكروأ أنهم بشرا للخداع) بطريقة مجهوله كما تشير إلى ذلك علامات الاستفهام الثلاثة وتلك هى:

١- بارانثروبس أثيوبيكس (شرق أفريقيا) (للتبسيط سأكتبه باراأثيوبيا)

٢- بارانثروبس بوازى (شرق أفريقيا) (***Paranthyropus boiesi***) (بارابوسى)

٣- بارانثروبس روبوستس (من جنوب أفريقيا) (***Paranthyropus robustus***) (باراروبى)

٤- استرالوبيت كادتى (من أثيوبيا) (أسترالوبيت كادتى)

٥- استرالوبيت أفريكانس (من جنوب أفريقيا) (***Australopithecus africanus***) (الاسترالوبيت الأفريقى)

٦- هوموورودلفنسز (من شرق أفريقيا) (*Homo rudolfensis*) (إنسان رودولف)

٧- هومو إرجاستر (*Homo ergaster*) (من شرق أفريقيا) (إنسان إرجاستر)

٨- هوموهابيلس (الصحراء الإفريقية) (*Homo habilis*) (الإنسان الماهر).

وكلهم جميعا لم يتركوا خلفا وراءهم, إلا أرجاستر الذى أعطى بطريقة مجهولة (؟) البشر اللاحقين. وهكذا عاشوا جميعا فى منطقة واحدة وهى أفريقية ، فأين التطور المزعوم إذن؟, ومن هنا دفعهم هواهم إلى إختراع أكذوبة التطور المقترح متعدد الوجوه الذى أشرت إليه من قبل. إن التطور المزعوم كذب لا يخفى إلا على جاهل.

رابعا: المرحلة قبل الأخيرة : بطريقة غامضة مشكوك فى أول خطوة منها تفرع من "إنسان" أرجاستر إنسان آخر إختفى فى فرع جانبى (حارة سد) وهو هوموإيريكتس (شرق آسيا) (*Homo erectus*) الذى يسمونه " الإنسان منتصب القامة . ثم ظهرت ثلاثة فروع مشكوك فى أصلها وهى:

١- هومو أنتيسيسور (أسبانيا) (*Homo antecessor*) (إنسان أنتس)

٢- هوموهايدلبرجنسز (فى العالم) (*Homo heidelbergensis*) (إنسان هايدلبرج)

٣- هومونياندرثالنسز (أوروبا وغرب آسيا) (Homo neanderthalensis) " إنسان نياندثال"

٤- أخيرا هوموسابيانس (*Homo sapiens*) "الإنسان العاقل, الذى هو أنا وأنت".

وهكذا استنادا على شجرة ليس لها أصل, وفروع اختفى بعضها ومشكوك فى تسلسل البعض الآخر, وضعوا الإنسان فى فى قمة الشجرة الخبيثة زاعمين انه المنتج النهائى لبشر سبقه. إستنادا على اللاعلم (الظن ليس علما) ، وضربا بالدين عرض الحائط, جعلوا أصلهم قرة. و كأن أصحاب هذا الفكر الشاذ قردة ليس فى خَلقهم ولكن فى تفكير عقولهم. إن الطبيعة عمياء لا قدرة لها على شئ ولا تصطفى ولا تختار. أريحوا أنفسكم أيها المتعالمون فنحن نعرف أصلنا معرفة حقيقة . إننا من أبينا آدم ، وأبونا آدم عليه السلام خلقه الله بيده. وربن وربكم خالق كل شئ. خلق الأنواع كلها و بتعبير القرآن الأزواج كلها. والقردة السابقة أزواج, فكل منهم اذن خلق خاص, وكل الكائنات بأنواعها المختلفة كل منها خلق خاص. ويكفينا على صدق إيماننا تخبطكم الذى عبرتم عنه فى السطور التالية:

(عوضا عن ذلك (يقصدون التخبط فى فهم شجرة نسب الإنسان) كانت قصة "الطبيعة" التى تمارس عملها من غير اتقان ، متمثلة فى تجارب تطورية متكررة. كأن تاريخنا البيولوجى فى الواقع يتمثل فى أحداث متقطعه وليس تراكمات تدريجية. فقد ظهرت بانتظام خلال الخمسة الملايين سنة الماضية أنواع جديدة من "البشر" تنافست فيما بينها وتعايشت واستعمرت بيئات جديدة ونجحت أو فشلت . ولا يتوفر لدينا إلا قدر ضئيل من الإدراك غير الواضح عن كيفية تكشف هذا التاريخ المثير من التجديد والتأثير. لكن من الواضح تماما أن نوعنا ، لا يمثل بالمرة قمة شجرة تطور البشر ، وإنما هو مجرد فرع آخر من فروعها الطرفية الكثيرة).

وتمخض الجمل فولد فأرا : هذا مثل عربى يطلق على حصيلة تافهة لا تناسب الجهد المبذول. تذكرت ذلك المثل حينما طالعت وجها متخيلا يمثل فى زعمهم وجه قريبنا الفقود الذى ظل برونيه (عالم الأحافير فى جامعة بواتييه) يبحث عنه ٢٦ سنة. ويعتقد برونيه أنه السلف الأقدملفصيلة الانسان, وقد أسماه ساحيلانثروبس تشادنسز(***Sahelanthropus tchadensis***), ولقب تومائي (**Tomai**), ومعناها فى لغة الكوران المحلية أمل الحياة (**hope of life**). ويعود عمر ذلك الساحلى الى نحو ٧ ملايين من السنين. وفى الوقت الذى يفخر فيه برونييه بكونه أحد رواد الغرب فى هذا المجال, نجد هذا الساحلى الذى أدخل عنوة فى جنسنا البشرىيحمل عددا من السمات الشبيهة بالقردة العليا, من بينها قحف دماغه الصغير. كما أن توزع العظم القشرى فى عنق عظم الفخذ يمكن أن يكون أكثر تشابها بمثيله فى قرد يمشى على أربع. الأمر الذى دفع الكثيرين من العلماء فى انتقاد تفسير كشف برونييه, فها هى وورد (من جامعة ميزورى تنتقد قائلة : (ان السبب فى اعتبار ساحيلانثروبس بالضرورة نوعا من فصيلة الانسان ليس واضحا بصورة جلية. وأكد وولبوف المتخصص فى علم الانسان القديم فى جامعة ميتشجان, فى رسالة نشرت فى الشهر ٢٠٠٢/١٠ فى مجلة نيتشر, التى أعلن فيها فريق برونييه عن اكتشافه–بان ساحيلانثروبس كان من القردة العليا وليس انسان.

النياندريون لم يكونوا أسلافنا: منهم النياندرتاليون؟ تدل أحافير ما يسمى بانسان نياندرتال على أنه غول بليد الفهم يتوارى خلف العتبة التطورية للبشرية. وهم يتميزون بصفات لا يمكن أن تجعلهم بشر, مثل غلظة هياكلهم العظمية, وأطرافهم القصيرة وصدورهم البرميلية الشكل, وحيود جباههم البارزة وجبنهم المائلة الواطئة, وأواسط وجوههم الناتئة, وفكوكهم العديمة الذقن. وقد أكدت دراسات المتوكوندريا **DNA** بشكل صريح نشر فى مجلة الخلية ***Cell*** أن النياندرتاليين لم يكونوا أسلافنا, حيث قرر العلماء أن الدنا الميتوكوندرى النياندرتالى والدنا الميتوكوندرى الخاص بأفراد الانسان الحديث الحالى هو أكبر بكثير من الفروق الموجودة لدى الجماعات البشرية الحالية.

الإنسان دماغ وعقل معا: يخطئ من يبحثون فى ما يسمى بتطور البشر حينما يركزون أبحاثهم فقط فى قحف الجمجمة دون النظر فى تميز العقل البشرى الفريد. يصرح العلماء أنه بفهمنا للعقل البشرى فى مستوى أعمق, سنرى فيه أعقد مجموعة للظواهر البيولوجية فى الطبيعة. وحينئذ يبدو الإنسان مخلوقا فريدا بما ميزه الله بالعقل والبيان, وصدق الله حيث يقول : ((يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم* الذي خلقك فسواك فعدلك* في أي صورة ما شاء ركبك)) (الانفطار:٦-٨).

وعلم أدم الأسماء كلها

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ تعنى الحشد ، أي حشد الأسماء، ﴿ وعلمه البيان﴾ تعنى تعلم الإنسان المنطق، أي بيان العلاقات بين الأسماء. ويؤكد علماء اللغة انتصار مدرسة تعلم اللغة بالإلهام أو التلقى فى مواجهة النظرية التي ترى اللغة منتج بيئى مكتسب من تفاعل الظروف المتغيرة. ويزيد على ذلك علماء الأحياء مؤكدين أن الإنسان زود بتركيبات تشريحية تجعله الكائن الوحيد القادر على تعلم اللغة المعبرة والبيان.

وفى مقالة منشورة بمجلة علوم أمريكا, عنوانها كيف صرنا بشرا؟ يذكرتاترسال (أمين متحف علم الانسان فى المتحف المريكى للتاريخ الطبيعى) أن اكتساب اللغة وممارسة الفنون الرمزية قد ميزتنا من بقية الخلق (المجلد ١١-١٢). وليته طرح سؤاله هكذا: كيف خلقنا بشرا ؟ فالعلم يبحث في كيفية الخلق لا فى كينونة الأشياء. ومع اختلافى الشديد مع فكرة تطور البشر وشجرة النسب التي تحدث عنها السيد إيان تاترسال (Ian tattersall) أمين متحف قسم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) بالمتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى ، إلا أننى أشيد فى بحثه بنقطة هامة ، وهى إقراره بأن تميز الإنسان مرتبط برهان اختراع اللغة التى هى عنصر أساسى فى عملية التفكير نفسها ، واعترافه بعدم المعرفه بالضبط كيف ظهرت اللغة عند الإنسان على الرغم من التخمينات الكثيرة للغويين. وهنا أحيله للقرآن الكريم الذى يخبرنا أن الله هو الذى علم الإنسان اللغة والمنطق حيث يقول تعالى:﴿ وعلم آدم الأسماء كلها... ﴾ (البقرة:٣١) و﴿الرحمن * علم القران * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ (الرحمن : ١-٤)

وان كان لى بعض التحفظات على بعض ما جاء فى مقالة السيد تترسال, إلا اننى أثمن كثيرا مما جاء بها. ومبعث تقديرى يكمن فى أن كثيرا من تساؤلات تترسال سبق أن وضع القرآن أجوبتها ؟. وتلك هى النقاط المضيئة فى مقالة تترسال مع دكر إشارات القرآن المتعلقة بها:

١-نفى تترسال دور ما يسمى الإنتقاء الطبيعى فى الوصول بالإنسان الى القدرات العقلية التى تميزنا عما عدانا من المخلوقات. والسبب فى ذلك يرجع الى أن التطور لا يمكن أن يكون فى حد ذاته عملية خلاقة. والحقيقة التى يجب أن يعيها العلماء, خاصة علماء علم الانسان أن الله سبحانه هو الذى يخلق ما يشاء ويختار, وأن الطبيعة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء. وفى ذلك يقول رب العالمين:

* ((وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)) (القصص:٦٨).

* ((ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم* الذى خلقك فسواك فعدلك* فى أى صورة ما شاء ركبك)) (الانفطار:٦-٨).

* ((سبح اسم ربك الأعلى* الذى خلق فسوى* والذى قدر فهدى)) (الأعلى:١-٣).

* ((ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)) (الأنعام:١٠٢).

* ((ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون)) (غافر:٦٢).

* ((قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) (طه:٥٠).

*((وخلق كل شيء فقدره تقديرا)) (الفرقان:٢).

٢- يشير تترسال إلى نقطة غاية فى الأهمية, وهى فكرة "التكيف المسبق" **(Exaptation)** , بمعنى أنه لا يمكننا أن نرجع ظهور القدرات الإدراكية الحديثة ببساطة إلى عملية بسيطة استهدفت تحسين الدماغ وبلغت أوجها مع مرور الزمن. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن دماغنا مكيف تكيفا مسبقا, ومزود منذ أمد بعيد(لا يعلمه إلا الله). ويتساءل تترسال ما الذى منح الدماغ ذلك التكيف المسبق من أجل الأهداف الإدراكية الحديثة؟ وهنا تأتى الإجابة على سؤاله من القرآن الكريم فى قوله تعالى:

* ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)) (البقرة:١٣)).

((الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)) (الحمن:١-٤).

((أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ *وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)) (البلد:٨-٩).

٣- يرى تترسال, ومعه الحق فى رؤيته, أن اللغة هى الملكة الفريدة التى يبدو أنها لم تنشأ من لغة بدائية لبعض الرئيسيات الشبيهة بالقردة العليا, كما أنه ليس هناك إنكار لوجود غريزة لغوية فى العقل البشرى. وهنا نجد أنفسنا مرة ثانية أمام قوله تعالى ((وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)). ولابد أن تكون القفزة الإدراكية فى تعلم الأسلوب اللغوى كالذى نألفه قد جاءت مباشرة من الله ((﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ تعنى الحشد ، أى حشد الأسماء، ﴿ وعلمه البيان﴾ تعنى تعلم الإنسان المنطق، أى بيان العلاقات بين الأسماء. ويؤكد علماء اللغة انتصار مدرسة تعلم اللغة بالإلهام أو التلقى فى مواجهة النظرية التى ترى اللغة منتج بيئى مكتسب من تفاعل الظروف المتغيرة. ويزيد على ذلك علماء الأحياء مؤكدين أن الإنسان زود بتركيبات تشريحية تجعله الكائن الوحيد القادر على تعلم اللغة المعبرة والبيان.

))٠

٤- يرجع البناء اللغوى إلى حقيقة أن القاعدة الأساسية كانت موجودة بالفعل فى كل فرد قبل أن تظهر اللغة نفسها بوقت طويل. ويشير تترسال إلى تميز البشر وحدهم فى صنع الأصوات الازمة لإنتاج الكلام الواضح. ويقول أن البنى الرئيسية التى يتكون منها السبيل الصوتىهى الحنجرة والبلعوم واللسان وجهازه المصاحب له. وهنا ندعو علماء اللغويات تدبر قوله تعالى ((أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن)).

أصول الإنسان محفوظة فى جيناته

إن تاريخ البشرية مدون فى مورثاتنا(جيناتنا), ولكن تفسيرات الرسائل الدفينة ما زالت متناقضة.ولعل تلك الحقيقة التى تمثل أروع ما توصل إليه العلم اليوم تكشف سرا عظيما أشارت إليه آية فى كتاب الله حيث يقول تعالى (﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف:١٧٢). إن رب العالمين أخذ العهد والميثاق على بنى آدم, مُشْهِداً إياهم على ربوبيته، وفطر كل خلية وهن فى النطف فى ظهور الآباء, على فطرته، فجاء الخلق كله مسلما لله .

حواء أم البشر(شكل:١١)

أثبت علم جزيئات الحياة (Molecular Biology) عن طريق دراسة الحمض النووى فى الميتوكوندريا فى بُييضة المرأة أن حواء أم البشر الحاليين (Eve the common Ancestor of all humans). ويساعد الجينوم البشرى فى تتبع شجرة حياة البشر إلى أن يقر بأننا كلنا لآدم. ففى عام ١٩٨٧درس الباحثان كان وولسون من جامعة بركلى الدنا الموجود فى الميتوكوندرات (Mitochondria) الذى يأتى من البييضة فقط فى سيتوبلازم خلية الأنثى. وبفضل هذا الدنا الميتوكوندرى أعاد علماء الوراثة إنشاء سلالة النسب الأمومية من دون صعوبات ترتبط باختلاط مورثات الأبوين. وتوصلت الدراسة إلى أن الناس جميعا يشتركون فى دنا ميتوكوندرى جاء فى الأصل من امرأة واحدة (All humans alive today share mitochondria DNA derived from a single female ancestor). وهنا يتجلى إعجاز القرآن فى الإشارة إلى تلك الحقيقة التى لم يكشف عنها العلم إلا فى عام ١٩٨٧ حيث يقول رب العالمين ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث

COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH
www.eajaz.org

Eve, the Common Ancestor of All Humans حواء أم البشر

As mentioned earlier, molecular biology is making some significant new, if controversial, contributions to the understanding of human evolution. The technique involves tracing family trees by means of mitochondrial DNA. Mitochondria are energy-supplying structures in the cell, and they contain DNA that is not involved in the mixing of parental genes during meiosis but is derived only from the egg, not the sperm. Thus, a lineage can be traced back from mother, to grandmother, to great-grandmother, and so on. Mitochondrial DNA is changed only by mutations, which are passed on matrilinearly to the next generation. Given the assumption that mutations occur at a fixed rate, different DNA types can be compared and the number of generations that separate the different types from a common ancestral type calculated. In other words, all humans alive today share mitochondrial DNA derived from a single female ancestor.

That the genetic stock of all humans perhaps arises from a single ancestral female, or "Eve," as she has been called, conforms to basic genetic theory. What is surprising, however, is that calculations show that Eve lived only about ٢٠٠,٠٠٠ years ago. This is before the modern human races arose, which implies that, from a common African homeland, carriers of Eve's genes spread to most parts of the world and that it was their descendants who gave rise to the modern races. In other words, the various

races did not, as some anthropologists have argued, arise independently from different *Homo erectus* lineages.

شكل (١١) حواء أم البشر هكذا أثبتت دراسة الدنا الميتوكوندريي (صورة من كتاب vanished worlds,Lemon,p.٤٣١)

منهما رجالاً كيثرا ونساءاً واتقوا الله الذى تساءلون بـه والأرحـام إن الله كـان علـيكم رقيبـاً﴾ (النساء:١). وبناء على الدراسات الوراثية ظهر ما يعرف ب "نظريـة حـواء الإفريقيـة" (Eve Africa) التى تشير إلى أن المجموع الوراثى للدنا الميتوكوندرى يعود على وجه الاحتمال إلى أصـل إفريقى. واستنادا على ما يعرف بفرضية الساعة الجزيئية (molecular clock), فقد توصـلت الحسابات إلى نتيجة مزهلة هى أن حواء (السليف) ظهرت على الأرض منذ ٢٠٠و٠٠٠سنة. وقـد أربكت تلك النتيجة علماء الإنسان لأنها تجزم بعدم وجود علاقة بيننا وبين ما يسمى بالإنسان منتصب القامة (*Homo erectus*). إلا أن الحقيقة الناصعة تفيد بأن كل النساء انحدرن من امرأة واحـدة كانت موجودة قبل ٢٠٠و٠٠٠سنة. وتتكامل دراسة الصـبغى الجنسـى Yمـع دراسـة الـدنا الميتوكوندرى الذى تنقله النساء فقط لتنضوي تحت قول الحق تبارك وتعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات:١٣) وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:(كلكم لآدم وآدم من تراب).

النياندرتاليون ليسوا منا:

يمثل نجاح الباحث بابو وزملاؤه فى استخلاص الحمض النووى من بقايا أحفورة بشرية ثورة فى مجال علم الأحافير.وكانت أولى النتائج للدنا الميتوكوندرى لإنسان نياندرتال المكتشـف فى منطقـة فيلـدهوفر بألمانيا(يعود قدمه الى ما بين ٣٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠٠ سنة) ولالثنين من أقرانه. وقد أدت الدراسـة إلى القول إن النياندرتاليين لم يشكلون جزءا من أسلافنا. وتؤكد الدراسات على أن النيانـدرتاليين كـانوا يفتقدون اللغة المألوفة لدينا, فكيف يكونون بشرا ؟

والحمد لله الذى أراح علماء الإنسان من ذلك الصداع المزمن حول أكذوبة الأناسى التى ظهرت قبـل آدم وحواء.

((قل كونوا حجارة أو حديدا)):

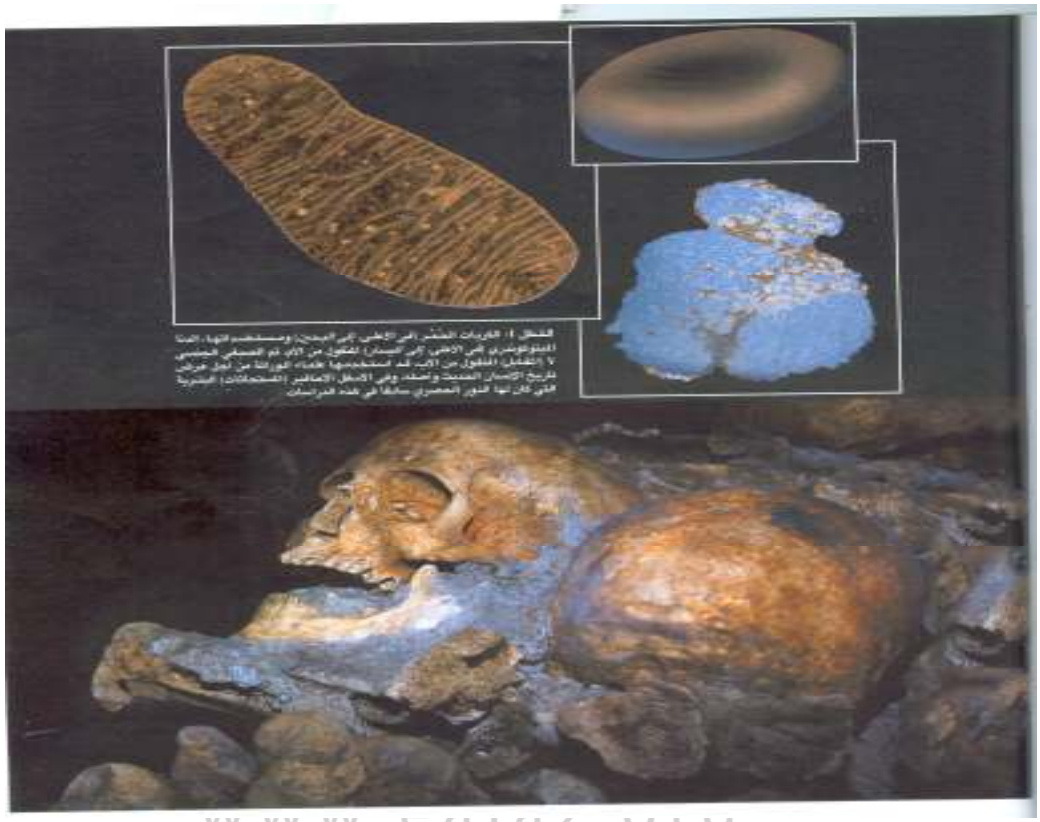

www.eajaz.org

شكل (١٢) : تكشف دراسة الدنا (DNA) الأحفوري عن حقيقة خلق الإنسان من رجل وامرأة.

يسجل القرآن الكريم فىبعض الآ يات تعجب الكفار من كيفية بعثهم بعد موتهم وتحـول أجسـادهم إلىتراب إلى عظام نخرة رميم. وترد الآيات مؤكدة على حتمية ذلك البعث, إلا أن آية سورة النـور التى وردت فى ذلك الشأن قد أعطت إشارة علمية رائعة متعلقة بطرق حفظ بقايا الكائنات القديمة التى يعثر عليها فى طبقات الأرض. ويحس عالم الحفريات بذلك الإعجاز خاصة وهو يعلم من دراسة تـاريخ علم الحياة القديمة أن تعريف الأحفورة كان لغزا كبيرا.فقد كان يعتقد أنها ذات منشأ غـير عضـوى, ناهيك عن تصور أنها رجز من عمل الشيطان, أو قروش الملائكة, أو قروش سقطت من جيب الحجيج دفنت فى الحجارة. وإذا بنا قبل اكتشاف حقيقة الأحافير نطالع كلام رب العالمين وهو يتحدث عن تحول عظام البشر إلى حجارة أو حديد أو مادة أكبر من ذلك. واليوم يتعلم طالب علم الأحافير القديمة طرق حفظ الحفريات بالتحجر الذىيضم الإضافة المعدني, والاستبدال المعدنى, والإحلال المعدنى, والتفحم , والقلب والطابع, وآثار الكائنات القديمة. وهنا نتدبر قول الله تعالى:

((وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا *قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا *وْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا *يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً)).بمعنى لو أن عظامكم أنتم وآباؤكم لم تبلى بل حفظت لملايين السنين, بأن أصبحت حجارة أو حديدا, أو أية مادة فوق ذلك. ولو أن رفاتكم حفظت أيضا لنفس امدة الطويلة , فإن الله الذى أوجدكم من العدم سيعيدكم للبعث. ولسوف يفيد دراسة الدنا الأحفورى فى بيان أن الإنسان خلق إنسانا فى أحسن تقويم على الكيفية التى أخبر بها رب العالمين.

www.eajaz.org

الحق فى خلق الانسان فى القرآن الكريم

وردت قصة خلق آدم فى القرآن الكريم فى السور الآتية بشئ من التفصيل مرتبة حسب نزولها:

أ- فى مكة: {ص(٧١-٨٥)-الأعراف(١١-٢٥)-طه(١١٥-١٢٧)-الاسـراء(٦١-٦٥)-الحج(٢٦-٤٤)-الكهف(٥٠)}.

ب-فى المدينة: {البقرة) (٣٠-٣٨)}.

وفى جميع تلك السور مشترك عام يتضمن اخبار الله الملآئكة باسجود لآدم وامتثالهم الأمر, ومخلفة ابليس أمر ربه. ومع ما فى السور من تكرار , الا أن قصة خلق آدم تحمل ملمحا خاصا يميزها عن سواها. وهذه تلك الملامح:

١-خلق الله آدم من طين وسواه ونفخ فيه من روحه: (واذ قال ربك للملآئكة انى خالق بشرا من طين* فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) (ص:٧١-٧٢).

٢- صور الله ىدم على هيئته: ((ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين)) (لأعراف-١١).

٣-خلق الله الانسان من صلصال مخصوص: ((ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون)) (الحجر:٢٦).

٤-جعل الله فى الأرض خليفة , وعلمه الأسماع كلها, وجعل الخلافة فى بنى آدم: ((واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم من الله ما لا تعلمون* وعلم آدم

الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوهم بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين* قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العزي الحكيم))(البقرة:٣١-٣٣).

وفيم يلى نورد الآيات التى تتحدث عن قصة خلق آدم عليه السلام حسب ترتيب السور فى المصحف الشريف:

www.eajaz.org

أولا- سورة البقرة: ٣٠-٣٨

((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ *وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ *وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ *فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون)).

الأعراف: ١١-٢٥

((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ *قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ *قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ *قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ *قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ *وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ *فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ *وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ *فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ *قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ *قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)).

الحجز: ٢٦-٤٤

((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ *وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ *فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ*قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ *قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ*وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ *إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ *قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ *وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ*لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ)).

الإسراء: ٦١-٦٥

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً*قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا *وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً))

الكهف: ٥٠

((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)).

طه:١١٥-١٢٧

((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى *فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى *إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى *وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى *فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى *فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى *ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى *قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا *قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى *وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)).

ص:٧١-٨٥

((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ*قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ *قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ *قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ *وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ*إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ *قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ *لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)).

www.eajaz.org

حقائق الخلق فى الإسلام

الحقيقة الأولى – الله هو الحق وما دونه باطل: الله هو الحق ، ومن ثم فهو أحق أن يعبد، وإن لم يتبع الحق فليس هناك إلا الضلال. والباطل زاهق والحق باق . تلك المعانى هى آيات محكمات فى كتاب الله فى قوله تعالى:﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى القدير﴾ (الحج : ٦٣) و﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾(يونس : ٥) و﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون﴾ (يونس : ٣٢) و﴿ أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى ... ﴾ (يونس: ٣٥) و﴿ إن الظن لا يغنى من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون﴾ (يونس : ٣٦) و﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ (الأنبياء: ١٨) و ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ (الأنبياء : ٢٤) و﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ إن الله هو السميع البصير﴾ (غافر: ٢٠) و﴿ويمحق الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ (الشورى : ١٢٤)

ومن ثم فإن الإدعاء بأن الطبيعة تصطفى إدعاء باطل, لأنه يناقض الحق الذى يخلق ما يشاء ويختار . والإدعاء بحدوث التطور وفق آليات قائمة على الظن باطل يبعد الناس عن فهم قدرة الله المطلقة. وبناءا عليه, فإن التطور أو الانتقاء الطبيعى باطل من وجهة نظر العلم والشرع. وأيضا ما سوف يستحدث من تجديد للفكر التطورى القديم سيكون باطلا, طالما أنه بعيد عن الله.

الحقيقة الثانية – الله هو الخالق: الله تعالى هو الخالق ، وغيره عاجزون عن خلق أى حياة . سبحانه وتعالى فاطر يخلق من غير أصل, وغيره يحتاجون إلى أصول لم يأتون بها من عندهم. تلك المعانى تؤكد عليها بشدة آيات القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ (الأنعام : ١٠٢) و﴿ الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ (الزمر : ٦٢) و﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى... ﴾ (الحشر: ٢٤)

وبما أن كل نوع من الخلائق شئ ، فإذن جميع الأنواع مخلوقة رغم أنف دعاة التطور ، وعليهم أن يأتوا ببرهانهم إن كانوا صادقين. والطبيعة لا تخلق ولا تصطفى وليس لها من أمرها شئ ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار... ﴾ (القصص: ٦٨) . ومشكلة التطوريين أنهم قد تشابه عليهم الخلق: ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ... ﴾ (الرعد : ١٣). ويخبر الحق تعالى عن عجز البشر عن أن يخلقوا حياة سواء بأنفسهم أو بواسطة ما يتخذونه آلهة من دون الله. ﴿ يا أيها ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له.... ﴾ (الحج : ٧٣) و ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ... ﴾ (النحل : ٢٠)

الحقيقة الثالثة– كل شئ خلق بقدر: ظهور الخلائق لا يتم بتجريب ، ولكنه يتم بقدر . وكل شئ خلقه الله بحدود مميزة ، وليس فى خلق الله حلقات وسطى بين الأنواع . يقول الحق تعالى: ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩). و ﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة : ٣٢).

الحقيقة الرابعة– كل شئ حي من ماء: جميع الأحياء من ماء, هذا ما أخبر به القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ .. وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء : ٣٠). وجميع الدواب مخلوقة من الماء ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق ما يشاء ويختار إن الله على كل شئ قدير﴾ (النور : ٤٥)

الحقيقة الخامسة – الزوجية قانون عام: يخبرنا القرآن الكريم أن النباتات والحيوانات ، وكل المخلوقات خلقها الله أنواعا وكل نوع من زوجين.يقول تعالى: ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ (يس:٣٦) و﴿ والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ (الزخرف : ١٢) و﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات : ٤٩)

والحقيقة السادسة– الرزق على الله: رزق جميع الكائنات على الله، وصراع الكائنات سنة ، وليست قوة خلاقة ، والقوى يعيش بجانب الضعيف رغم أنف خدعة :" البقاء للأصلح".يقول تعالى: ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾(هود : ٦). الرازق متكفل بإعاشة وتدبير حياة قرابة ٤.٥ مليون نوع من الكائن, يتوقع العلماء وجودها على الأرض فى تلك اللحظة ، فكم كان عدد الأنواع التى تعاقبت على الأرض منذ بدء الخلق. فما بالنا إذن بعدد الأفراد فى تلك الأنواع ، وصدق الله تعالى: ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم﴾ (هود:٥٦)

الحقيقة السابعة– تنوع الخلائق: من ينظر إلى التنوع فى البشر ، الذين يعمرون الأرض ، والذين عمروها ، عليه أن يدرك أن التنوع سمة رئيسيه فى جميع الدواب. وصدق الله حيث يقول: ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام : ٣٨). و﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانها كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (فاطر : ٢٧–٢٨).

الحقيقة الثامنة – والدواب مصنفات: تمكن علماء الأحياء من وضع تصنيف يضم الأحياء والأحافير ، ومن الوارد أن تضاف مصنفات مستحدثة فى ضوء معرفة ما ليس معلوما اليوم. يقول تعالى: ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير﴾ (النور : ٤٥)

الحقيقة التاسعة– الخلق متجدد باستمرار: يشير القرآن إلى تجدد الخلق. يشير الى ذلك قوله تعالى: ﴿ والخيل والحمير والبغال لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ (النحل : ٨) و ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ (الإسراء: ٩٩) و﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار... ﴾ (القصص : ٦٨) و﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الأعراف : ٥٤) و﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد... ﴾ (إبراهيم : ١٩) و﴿ إن ربك هو الخلاق العليم﴾ (الحجر : ٨٦).

الحقيقة العاشرة – كتاب الخلائق عند الله: سجل العلماء فى أرشيف الحياة الماضية قرابة ٢٥٠٫٠٠٠ نوع فقط من الكائنات ، مع اليقين بأن هذا العدد ليس إلا عينة من السجل الحقيقى للكائنات التى توالت على الأرض، بالإضافة إلى ما يقرب من قرابة ٤.٥ مليون نوع من الأحياء الحالية. وعلمنا عن الماضيين والمحدثين غير مكتمل، والسجل الكامل لا يوجد إلا عند المحصى المعيد– عند الله تعالى– القائل عز وجل: ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾ (الأنعام :٥٩) و ﴿ إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين﴾ (يس: ١٢)

الحقيقة الحادية عشر– تغيير خلق الله عبث: الله تعالى أحسن خلق كل شئ خلقه، ثم هداه لما خلق. ومحاولة تغيير خلق الله من الظاهر، أو من الباطن أو منهما معا عبث. وإستخدام تقنيات الهندسة الوراثية فى تغيير جينات الإنسان وغيره من المخلوقات خسران مبين. ويحذر القرأن من ذلك العبث فى قوله تعالى: ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا* يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ (النساء: ١١٧–١٢٠).

الحقيقة الثانية عشر– الخلائق تسجد لله: كل المخلوقات تسجد لله طائعة أو كارهة ، والإنسان قد مُيز بالعقل الذى يميز بين البدائل، وحتى المعاندون المنكرون للخلق تخضع أجهزة أجسامهم للسنن والنواميس التى أودعها الله فيهم ، وصدق الله حيث يقول لتعالى: ﴿ ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ (النحل:٤٩) و ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ (الحج : ١٨)

الحقيقة الثالثة عشر– تسخير الكون للإنسان: الإنسان من أكرم الخلق على ربه ، خلقه الله وسخر له ما فى الأرض وما فى السموات. وفى هذا الشأن يقول تعالى: ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل خلق عليم﴾ (البقرة : ٢٩) و ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ (الحج : ٦٥) و ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الجاثية: ١٣). ويقررالنص القرآنى أن الكون مسخر للإنسان. وإنه لمن إبداعات العلم أن يصل إلى تلك الحقيقة واحد من أعلم علماء اليوم– وهو الدكتور ستيفن هوكنج مجيبا على سؤال طرحه: لماذا يكون الكون جد مستو هكذا؟ وتأتى الإجابة مُصاغة فيما يعرف بالمبدأ الإنسانى **"Anthropic principle)** " إننا نرى الكون بما هو عليه لأننا موجودون" . ودلالة الآيات القرآنية السابقة أشمل وأعم من الصياغة العلمية لذلك المبدأ ، فكل شئ فى الأرض والسماء قد ضبط ضبطا دقيقا لنحيى على الأرض.

الحقيقة الرابعة عشر– الحى من الميت والميت من الحى:إذا كان العلماء منذ زمن بعيد قد تحدثوا عن انبثاق الأنظمة الحية من جزيئات غير حية كما أشرت من قبل، فإن الحقيقة أن إخراج الحياة ليس فى مقدور البشر وذلك لسبب وحيد: هو أن الله وحده هو الذى يهب الحياة . ويتضح هذا بجلاء فى قوله تعالى: ﴿.... وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾ (آل عمران:٢٧) و﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ (الأنعام: ٩٥) و﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحى لأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ (الروم : ١٩)

الحقيقة الخامسة عشر– لكل أمة أجل: الدواب مثل الإنسان تتكون من أمم ، وتتحد كل الأمم (Nations or varieties) فى صفات النوع، وتتمايز فى الصفات ، مثل اللون والحجم والمظهر.. الخ ، هذا ما نلحظه من فهم قوله تعالى: ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨). والدابة تضم الأفراد . وكل فرد ، وكل أمة الى أجل محدود. وأجل الفرد فى الدنيا هو فترة بقائه حيا من لحظه مولده حتى تحين وفاته، وأجل النوع فى الدنيا هى فترة الدوام المحصورة بين أول ظهور له وآخر ظهوره له على الأرض. وقد تتعد الأسباب والموت واحد، ولكن الأجل محدود. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (الأعراف : ٣٤) و﴿ وما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ (الحجر: ٥). والسؤال: هل يستطيع " الإنتقاء الطبيعى" المزعوم أن يصطفى سلالة ما يُكتب لها الخلود ولا يصيبها الموت؟! لا ولن يحدث ذلك.

والحقيقة السادسة عشر– مآل الحياة إلى الزوال: ينص القرآن الكريم على محدودية الحياة الدنيا، وأن الحياة الدنيا إلى زوال وفناء، وأن البقاء لله وحده. يقول تعالى:

﴿ كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن: ٢٦–٢٧)

﴿ لا إله إلا هو كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ (القصص: ٨٨)

﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (غافر :١٦)

ويوضح القرآن الكريم معالم الانقلاب الكونى.

﴿ فإذا النجوم طمست * وإذا السماء فرجت﴾ (المرسلات: ٨:٩)

﴿ وإذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت ﴾: (التكوير: ١–٢)

﴿ وإذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت ﴾ (الإنفطار :١–٢)

وفى القرآن الكريم وصف لعشرات من صور الانقلاب الكونى تؤدى إلى نهاية الكون. ويرى العلماء أنه مع ازدياد حجم الكون نتيجة لتمدد الكون ، تقل الكثافة المتوسطة لمصادر الطاقة العالية، وتستترف. ويتوقع العلماء أن تصبح المادة المتاحة مركزة فى تقب أسود، وحينئذ تُطوى السماء وتُقبض الأرض . وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ ما قدروا الله حق قدره والأرض والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (الزمر: ٦٧).

حينئذ ندرك أن الحياة الدنيا قصيرة جدا يحسبها أهلها يوم القيامة أنها ساعة من نهار. وتمتد حياة البرزخ بعد الموت إلى قيام الساعة. وبعد ذلك تبدأ حياة الخلود. وعلى من يتمسك بأهداب خيوط الطبيعة الواهنة أن يتذكر أن الطبيعة تلك تفنى وتزول ، ثم يقف الجميع أمام رب العالمين، وصدق الله حيث يقول: ﴿ إن كل من السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً* لقد أحصاهم وعدهم عداً* وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ (مريم : ٩٣-٩٥) و﴿ فأين تذهبون* إن هو ذكر للعالمين﴾ (التكوير : ٢٦-٢٨). وتأتى الحقيقة الأخيرة: ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت: ٦٤)

تم بحمد الله ....

www.eajaz.org

الملخص

لم يكتب لنظرية الزيوع والانتشار مثلما كتب لنظرية دارون عن التطور العضوى . ولا يوجد سند علمى واحدة تقوم عليه النظرية؛ لا من الأحافير التى تمثل بقايا الكائنات البائدة, ولا من بين الكائنات الحية على حد السواء. ولم يتمسك بها الكثير من المخدوعين إلا لسبب واحد, وهو أن رفض النظرية يعنى الإيمان بالله . وللأسف حينما أؤكد على أن التطور كذب ومحض أفتراء يندفع بعض المسلمين قائلين أن القرآن يشير إلى التطور ، وبعد أخذ ورد أكتشف أن مفهوم التطور يختلف الناس عليه, ويخلطون بين مفهوم التطور كما وضعه دارون ومفهوم التغير فى تاريخ حياة الفرد والنوع. فالثانى يعنى مراحل خلق الكائن كما فى الإنسان مثلا من نطفة وعلقة ومضغة وعظام... الخ.. ودراسة تطور تلك المراحل شئ لا بأس به, بل ومرغوب فيه . أما مفهوم التطور الدارونى على أنه إرتقاء الحياه من جهاز عضوى ذى خلية واحدة إلى أعلى درجات الأحياء فى سلم الارتقاء فقول فيه نظر, لعدة أسباب أهمها: عجز الفروض الثلاثة لنظرية التطور لدارون التى يفسر بها ظهور الأنواع الجديدة. فلم ولن يؤد تبديل الكائنات الحية جيلا بعد جيل إلى ظهور أنواع جديدة عن الأنواع القديمة الا بأمر الله الخالق . ولا يوجد دليل أحفورى قوى على عملية التحول بين الأنواع عبر الزمن الجيولوجى منذ ظهرت الحياة على الأرض إلى اليوم. كما أن الكيفية التى ظهرت بها أوائل جميع الأنواع تمثل ألغازا مختلف عليها بين العلماء, ناهيك عن عملية تبديل الأنواع إلى أنواع أرقى وأحدث.

وهنا حاججت دعاة التطور مستندا على الأدلة المشتقة من آرائهم ذاتها، وساعدنى فى ذلك دراستى فى مرحلة الدكتوراه عن التطور وشجرة الحياة . وتبين لى يقينا مدى ما تحويه أفكار التطور من كذب وخداع . ولم يقدم سجل الحياة على قدمها دليل على صحة نظرية دارون للتطور العضوى. والظهور المفاجئ والمتنوع لكائنات طين بورجس تضرب نظرية دارون فى الصميم. ولما عجز أحد دعاة التطور, وهو ستيفن جاى جولد عن تفسير ظهور تلك الكائنات, وصفها بأنها تجربة فاشلة, وتعامى مع التسليم جدلاً برأيه عمن وراء التجربة. وكذلك الحال فى تفسير ظهور الفكوك للأسماك, من أسماك عديمة الفكوك مع إقرارهم بعدم وجود دليل مباشر على التحول من الأولى إلى الثانية، ثم إقرارهم بالألغاز المتعلقة بأصول البرمائيات والزواحف والطيور والثدييات . وقد أخذ بعض العلماء يشككون فى الحلقة الوسطى بين الطيور والزواحف التى يمثلها الطائر العتيق – الاركيوبتركس. كما أن البعض يشك فى تصنيف ذلك الكائن. وهذا ما تأكد اليوم من اكتشاف دينصورات يكسو جسمها ريشا. وبالتالى لم يعد الطائر العتيق طائرا , ولكنه زاحف جعلوه كذبا طائرا, ليشغل حلقة وسطى بين الزواحف

والطيور, والحلقة لا وجود لها سوى فى عقول تنكر حقيقة الخلق. ونفس الشئ تجده مع سلسلة تطور الأحصنة المزعومة . ثم تأتى كبرى الأثافى حول ما يعرف بتطور البشر ، ويكفى أن نعلم أن علم جزئيات الحياة أثبت أن حواء أم البشر. كما أثبتت دراسة الدنا الأحفورى (Fossil DAN), أن البشر الذين يعيشون على الأرض, لا علاقة لهم بما سمى إنسان نياندرتال باعتباره أقرب مخلوق بشرى قريبا منا كما يدعون. وشجرة، بل يحسن أن نقول أشجار حياة البشر هى أقرب من الأحاجى منها إلى أى شئ آخر. وكل الأناسى المزعومة ليست سوى قردة ورئيسات عليا لا علاقة لها بنا من الناحية التصاعدية والإدراكية.

ونماذج التطور المزعومة, لا تمثل سوى خيال واضعيها وفق أهوائهم لتعليل ظهور الخلائق المتعاقبة على الأرض. وقد فشلت جميعها, ابتداء من نموذج التدرج المستمر لدارون, ومرورا بنموذج الفواصل لألدردج وجو, وإنتهاء بالنموذج الشبكى لارنست ماير. والأخير يرى أن من أعظم إسهامات دارون إيجاده الكائنات من خلال التطور من دون اللجوء إلى ما فوق الطبيعة.! هكذا كفر بواح. ثم إن الانتقاء أو الاصطفاء الطبيعى المزعومة ليس بذاته قوة خلاقه ولا يدفع شيئا جديدا للتطور. وداروِن هذا رضى بأن يطوع العلم للهوى, وروج لمبدأ استعمارى بغيض هو البقاء للأحسن ، الذى يعجز عن تفسير وجود الأضعف بجانب الأقوى، ثم إنه قد أعلى من دور الصدفة على حساب العقل.

ومات دارون ولم تمت أفكاره, حتى بعد السقوط الذريع لنظريته. إلا أن وأخذت الداروِنية الجديدة تطل بوجه جديد خادع يرتدى زيا عصريا مفصلا من علم جزئيات الأحياء والمورثات. وهذا المبدأ الجديد يرى أنه: بوسع الباحثين إعادة بناء الماضى التطورى لأنواع الحياة ، من خلال تقييم تباعد سلسلة الجينات أو البروتينات التى تم عزلها من تلك الكائنات. ومن قبل أغرق دارون الناس فى مسألة التسلسل الشكلى الذى يحكمه الاصطفاء الطبيعى ، واليوم يسحبون الجميع الى معضلة التشابه الجينى. وأنا أحذر العلماء والباحثين قبل العامة من الناس من الانخداع بوهم مبدأ التسلسل الجينى, لأن كل زوج .. بمعنى آخر كل نوع يحمل خريطته الوراثية المستودعة فى أول زوج من كل نوع خلقه الله. وتلك الشفرة الوراثية تميز النوع عن غيره من الأنواع.

وهنا أشير إلى بعض الحقائق وليس كل الحقائق المتعلقة بالخلق التى ذكرت فى القرآن الكريم: الله هو الحق وما دونه الباطل ، وهو الله الخالق كل شئ بقدر، وجعل من الماء كل شئ حى. وخلق سبحانه الكائنات على تنوعها كل نوع من زوجين. وهو سبحانه خلق ويخلق وخلاق عظيم كل يوم هو فى شأن، وتكفل برزق جميع الدواب, وهداها إلى المستقر والمستودع. وعنده سبحانه علم جميع الخلائق ، وكلها تسجد له طائعة أو مكرهة. والله خلق الإنسان وعلمه اللغة والبيان وميزه بالعقل ليختار بين البدائل .

وربنا هو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى. وضرب سبحانه لكل أمة أجل. وعنده الكتاب الكامل يحفظ فيه جميع أعمال خلقه. وتزول الخلائق كلها وتفنى. ويبقى الله وحده ذو الجلال والإكـــرام. وقد أحاط سبحانه بعلم كل شيء :﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يـــابس إلا فى كتـــاب مـــبين﴾ (الأنعام: ٥٩).

www.eajaz.org

المراجع

أولا: القرآن وعلومه:

١- القرآن الكريم

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. محمد فؤاد عبدالباقى – دار الحديث – القاهرة ، ٩٥٠ صفحة.

٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى (٢٠ جزءا) – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٩.

٤- مختصر تفسير بن كثير (٣ مجلدات) – اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، دار القرآن – بيروت.

٥- فى ظلال القرآن (٦ مجلدات) – السيد قطب – دار الشروق – ١٩٨٧.

٦- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – ٢٠٠٢.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

٧- التفسير العلمى للقرآن فى الميزان – دكتور أحمد عمر أبوحجر – دار قتيبة – ٥٦٣ صفحة – ١٩٩١.

٨- الإعجاز العلمى فى الإسلام – محمد كامل عبدالصمد – الدار المصرية اللبنانية – ٤٠٠ صفحة – ١٩٩٣.

٩- أسرار الحياة والكون – المحرر وليم هـ – شور – ترجمة د. السيد رمضان هدارة – مركز الإعلام للترجمة والنشر.

١٠- الإسلام والدين – إعداد المكتب العالمى للبحوث – بيروت .

١١- القرآن والتوراه والإنجيل: دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة – موريس كوكاى – دار المعارف .

١٢- الدين والعلم وقصور العقل البشرى – د. محمد الحسينى إسماعيل – مكتبة وهبة – القاهرة.

١٣- خلق لاتطور – تعريب د. أحسان حقى – دار النفائس – بيروت.

١٤- الإنسان فى القرآن – عباس محمود العقاد.

١٥- أبى آدم – قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة – د. عبدالصبور شاهين – مكتبة الشباب بالقاهرة – م.١٩٩٨

١٦- كتاب الاعجاز ورد على كتاب أبى آدم. د. حسنى حمدان. دار الصفا بالمنصورة–مصر– ٢٠٠٠م.

١٦- أصل الأنواع – تشارلز دارون .

ثالثا: الدوريات والصحف السيارة

١٧- مجلة الإعجاز العلمى – الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة – جدة – المملكة العربية السعودية – الأعداد من ١-١٤.

١٨- مجلة الوعى الإسلامى – الكويت – العدد ٤٣٣ لسنة ٢٠٠١ ، ٤٣٠ لسنة ٢٠٠١ و ٤٤٧ – ٢٠٠٣.

١٩- مجلة العلوم – ترجمة مؤسسة الكويت للتقدم العلمى – أعداد ١٩٩٥-٢٠٠٣

www.eajaz.org

رابعا: المراجع باللغة الانجليزية:

١. Lemon, Roy, R., ١٩٩٣: Vanished Worlds. Wmc. Brown Publisher, pp. ٤٧٥.

٢. Montgommery, C.W., ١٩٩٣: Physical Geology ٣rd. W.C.B. Wm.C. Brown Publishers, p. ٥٤٤.

٣. Plumer, C.C. and David McGeary, ١٩٩٣: Physical Geology ٧th Ed., Wm. C. Brown Publishers, pp. ٥٣٩.

٤. Thompson, G.R., Turk, J. and Levin, H.L., ١٩٩٥: Earth: Past and Present Saunders Colle, pp. ٦٦٤.

INTL. COMMISSION ON SCIENTIFIC SIGNS IN QUR'AN & SUNNAH
MUSLIM WORLD LEAGUE
www.eajaz.org